
/http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly
قصص الأنبياء
المصورة للأطفال
الجزء الأول
تأليف : هند فتحى سليم
رسوم : عبد الرحمن بكر
الناشرون المتحدون






القرآن الكريم

قصص الأنبياء

المصورة للأطفال

الجزء الأول

تأليف

هند فتحى سليم

رسوم

عبدالرحمن بكر



الناشرون المتحدون



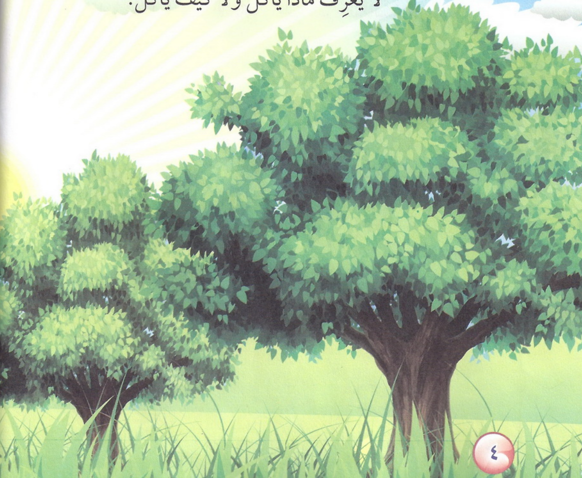
سليم، هند فتحى
قصص الأنبياء (الجزء الأول)
تأليف: هند فتحى سليم
رسوم : عبدالرحمن بكر
القاهرة - الناشرون المتحدون
٨٨ صفحة - ١٧ × ٢٤سم
رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٠٥٤٨
الترقيم الدولى: ٥-٣٥-٦٣٠٣-٩٧٧-٩٧٨
١ - قصص الأنبياء
٢ - قصص القرآن
٣ - قصص الأطفال
(أ) بكر، عبدالرحمن (رسام)
(ب) العنوان
الطبعة الأولى
١٤٣١هـ/٢٠١٠م

الناشرون المتحدون

المحتويات

خَلْقُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَسْمَعُونَ بِالتَّأْكِيدِ عِبَارَةَ (الإِنْسَانِ الأَوَّلِ) أَىْ أَوَّلُ إِنْسَانٍ عَاشَ عَلَى الأَرْضِ بَعْدَ أَنِ انْقَرَضَتِ الدَّيْنَاصُورَاتُ لِتُفْسِحَ لَهُ الْمَجَالَ، وَرُبَّمَا تَتَخَيَّلُونَ هَذَا الإِنْسَانَ رَجُلًا بُدَائِيًّا لَا يَرْتَدِى إِلَّا قِطْعَةً مِنْ جِلْدِ حَيَوَانٍ اصْطَادَهُ يَلُفُّهَا عَلَى وَسَطِهِ، وَيُحَرِّكُ يَدَيْهِ بِإِشَارَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ، وَيُمْسِكُ قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ النِّيِّءِ يَقْضِمُهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَاذَا يَأْكُلُ وَلَا كَيْفَ يَأْكُلُ.



دَعُونِى أُخْبِرْكُـمْ بِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ خَيَالَاتِكُمْ هَذِهِ لَيْسَ صَحِيحًا عَلَى الإِطْلَاقِ؛ فَالإِنْسَـانُ الأَوَّلُ كَانَ يَعْرِفُ كَيْـفَ يَتَكَلَّمُ، وَكَيْفَ يَأْكُلُ، وَيَعْـرِفُ أَشْـيَاءَ أُخْـرَى كَثِيرَةً، بَـلْ كَانَ يَعْرِفُ أَهَمَّ شَـىْءٍ يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَهُ إِنْسَانٌ وَهُوَ: أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ وَهُوَ خَالِقُهُ وَخَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ. كُلُّ هَذَا لأَنَّ الإِنْسَـانَ الأَوَّلَ كَانَ ـ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ ـ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى؛ لَقَدْ كَانَ سَيِّدَنَا آدَمَ (أَبَا الْبَشَرِ).

وَقَبْـلَ آدَمَ لَمْ يَكُنْ هُنَـاكَ رَجُلٌ وَامْـرَأَةٌ لِيَتَزَوَّجَا فَيُنْجِبَـاهُ؛ وَإِنَّمَا خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِيَدِهِ.

وَقَبْلَ خَلْقِهِ أَخْبَرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الْمَلَائِكَةَ بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ الإِنْسَانَ وَيَجْعَلُهُ يَحْيَا عَـلَى الأَرْضِ، وَهُنَا خَافَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ قَصَّـرُوا فِى عِبَـادَةِ اللهِ وَتَسْـبِيحِهِ لِهَـذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًـا غَيْرَهُمْ؛ فَسَأَلُوا اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِيَفْهَمُوا لَا لِيَعْتَرِضُوا:



- لِمَاذَا يَا رَبَّنَا تَخْلُقُ الإِنْسَانَ وَتَجْعَلُهُ عَلَى الأَرْضِ فَيُفْسِدُهَا وَيَعْصِى وَيَقْتُلَ وَيُسِيلَ الدِّمَاءَ، فِى حِينِ أَنَّنَا نَعْبُدُكَ وَنُسَبِّحُكَ لَيْلَ نَهَارَ؟

فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ الَّذِى لَا يَعْلَمُونَهُ هُمْ؛ فَلَمْ يَعْتَرِضِ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يُنَاقِشُوا؛ فَالْمُؤْمِنُ لَا يَعْتَرِضُ أَبَدًا عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ أَوْ يَشُكُّ فِى حِكْمَتِهِ.

وَمِنَ الأَرْضِ، مِنْ تُرَابِهَا، خُلِقَ آدَمُ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ أَحَدَ مَلَائِكَتِهِ - وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الأَرْضِ فَيَأْخُذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِهَا؛ فَلَمَّا رَأَتْهُ الأَرْضُ يُرِيدُ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ:

- إِنَّنِى أَحْتَمِى بِاللهِ وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّى شَيْئًا.

فَلَمْ يَأْخُذِ الْمَلَكُ مِنْهَا التُّرَابَ، وَعَادَ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ:



- لَقَدْ عاذَتْ بِكَ يا رَبِّ فَأَعَذْتُها.

فَأَرْسَلَ اللهُ الْمَلَكَ ميكائِيلَ إِلَى الأَرْضِ، فَحَدَثَ مِثْلَما حَدَثَ فى الْمَرَّةِ الأُولَى، وَفى الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقالَتِ الأَرْضُ:

- أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّى شَيْئًا.

فَقالَ لَها الْمَلَكُ:

- وَأَنا أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أُنَفِّذْ أَمْرَهُ.

فَأَخَذَ مِنْها التُّرابَ وَصَعِدَ إِلَى السَّماءِ؛ حَيْثُ مَرَّ التُّرابُ بِأَكْثَرَ مِنْ مَرْحَلَةٍ، أَوَّلُها أَنَّهُ خُلِطَ بِالْماءِ فَصارَ طِينًا، وَفى النِّهايَةِ شَكَّلَ اللهُ مِنْهُ جَسَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ.



عَدُوُّ آدَمَ

قَبلَ أَنْ تَدْخلَ الرُّوحُ جَسدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَسَائِلًا عَنْ سِرِّ هَذَا الْمَخْلُوقِ الْجَدِيدِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَحَامَ حَوْلَهُ، بَلْ دَخَلَ جَسدَهُ وَخَرَجَ، فَوَجَدَهُ أَجْوَفَ؛ فَاسْتَهَانَ بِهِ وَقَالَ:

- إِنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ الشَّرَّ عَنْ نَفْسِهِ، وَسَوْفَ أُؤْذِيهِ وَأُهْلِكُهُ مَا اسْتَطَعْتُ.

فَمَنْ هَذَا الَّذِى يَتَوَعَّدُ آدَمَ بِالشَّرِّ قَبلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلِمَةً أَوْ يَتَحَرَّكَ حَرَكَةً؟ إِنَّهُ إِبْلِيسُ الَّذِى سَتَسْتَمِرُّ عَدَاوَتُهُ لآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَتَّى نِهَايَةِ قِصَّتِهِ، بَلْ حَتَّى نِهَايَةِ قِصَّةِ الْحَيَاةِ عَلَى كَوْكَبِ الأَرْضِ.

وَأَخِيرًا صَارَ آدَمُ إِنْسَانًا بَعْدَ أَنْ نَفَخَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَدَخَلَتِ الرُّوحُ الْجَسَدَ الْهَامِدَ لِيَحْيَا وَيَتَحَرَّكَ، وَكَانَ الْمَلائِكَةُ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَسْجُدُوا لآدَمَ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، وَكَانَ إِبْلِيسُ مَأْمُورًا بِذَلِكَ أَيْضًا؛ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ طَاعَةً للهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْنَى سُجُودِهِمْ عِبَادَةَ آدَمَ أَوِ الصَّلَاةَ لَهُ.

أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَجَّبُوا مَعِى مِنَ السَّبَبِ الَّذِى جَعَلَهُ يَرْفُضُ السُّجُودَ لآدَمَ؛ لَقَدْ رَفَضَ لأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ وَآدَمُ قَدْ خُلِقَ مِنَ الطِّينِ،



فَكَيْفَ تَسْجُدُ النَّارُ ـ وَهِيَ الأَفْضَلُ ـ لِلطِّينِ وَهُوَ الأَقَلُّ؟

هَكَذَا فَكَّرَ إِبْلِيسُ، وَلَكِنْ مَنْ قَالَ إِنَّ النَّارَ أَفْضَلُ مِنَ الطِّينِ؟ بَلْ مَنْ قَالَ إِنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِالنَّارِ وَالطِّينِ؟ إِنَّمَا الْمَسْأَلَةُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ إِبْلِيسَ أَمْرًا، فَوَجَبَ تَنْفِيذُهُ دُونَ جِدَالٍ أَوْ نِقَاشٍ.

وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ تَكَبَّرَ وَاغْتَرَّ، فَطَرَدَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِى كَانَ فِيهَا، وَلَعَنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَهُ مِنَ الأَذِلَّاءِ الصَّاغِرِينَ.

وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ إِبْلِيسُ وَيَطْلُبَ عَفْوَ اللهِ طَلَبَ شَيْئًا عَجِيبًا، فَقَالَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ:

- اتْرُكْنِى حَيًّا لَا أَمُوتُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَأَجَابَ اللهُ طَلَبَهُ، فَلَمَّا تَأَكَّدَ إِبْلِيسُ مِنْ إِجَابَةِ طَلَبِهِ ازْدَادَ عِنَادًا وَوَقَاحَةً؛ فَقَالَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ:

- سَأَظَلُّ مُتَرَصِّدًا لأَبْنَاءِ آدَمَ أَنْهَاهُمْ عَنْ أَيِّ خَيْرٍ أَوْ طَاعَةٍ، وَأُشَجِّعُهُمْ عَلَى كُلِّ أَنْوَاعِ الْمَعَاصِى وَالآثَامِ.

فَأَخْبَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ جَزَاءَهُ وَجَزَاءَ مَنْ تَبِعَهُ سَيَكُونُ النَّارَ الَّتِى سَتَمْتَلِئُ بِهِمْ.

وَالآنَ لَا تَخَافُوا وَأَنْتُمْ تَتَخَيَّلُونَ شَيْطَانًا مَطْرُودًا يَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، وَقَدْ تَطَايَرَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَرَرُ الْحِقْدِ عَلَى آدَمَ وَأَبْنَائِهِ الَّذِينَ نَحْنُ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ الإِسْلَامَ يُعَلِّمُنَا أَنَّ هَذَا الشَّيْطَانَ ضَعِيفٌ، يَكْفِينَا لِمُحَارَبَتِهِ أَنْ نَقُولَ: **أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**، فَنَطْرُدَ وَسَاوِسَهُ مِنْ رُءُوسِنَا، وَنَتَمَسَّكَ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَاعِينَ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنَا لِذَلِكَ، وَإِنْ ضَعُفْنَا يَوْمًا وَأَطَعْنَا الشَّيْطَانَ فَلْنُبَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ. وَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ لَا يَتْرُكُنَا حَتَّى تَخْرُجَ أَرْوَاحُنَا مِنْ أَجْسَادِنَا؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُغْلِقُ أَمَامَنَا بَابَ التَّوْبَةِ مَا دَامَ مَلَكُ الْمَوْتِ لَمْ يَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا.



مُؤَامَرَةُ إِبْلِيسَ

أُبْعِدَ الشَّيْطَانُ وَطُرِدَ، وَلَكِنَّ آدَمَ بَقِىَ فِى الْجَنَّةِ، وَعَلَّمَهُ اللهُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا: أَسْمَاءَ الْكَائِنَاتِ الَّتِى خُلِقَتْ وَالَّتِى لَمْ تُخْلَقْ بَعْدُ، وَكَانَ هَذَا التَّعْلِيمُ نِعْمَةً أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَى آدَمَ، ثُمَّ زَادَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِ بِأَنْ خَلَقَ لَهُ مِنْ أَحَدِ ضُلُوعِهِ امْرَأَةً؛ لِتَكُونَ لَهُ زَوْجَةً تُؤْنِسُهُ فِى الْجَنَّةِ، وَتُرَافِقُهُ فِى الْحَيَاةِ، وَتُنْجِبُ لَهُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ.

وَأَسْكَنَ اللهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ حَوَّاءَ الْجَنَّةَ وَجَعَلَهُمَا يَتَمَتَّعَانِ بِكُلِّ نَعِيمِهَا، وَيَأْكُلَانِ مِنْ كُلِّ طَعَامِهَا، لَكِنَّ اللهَ مَنَعَهُمَا مِنَ الأَكْلِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَحَذَّرَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ؛ لأَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمَا يُرِيدُ بِهِمَا الشَّرَّ وَيُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ لِيَعِيشَا حَيَاةَ الشَّقَاءِ وَالتَّعَبِ؛ حَيْثُ كَانَا لَا يَتَعَرَّضَانِ فِى الْجَنَّةِ لِجُوعٍ أَوْ عَطَشٍ أَوْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ.

وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ بَدَأَ تَنْفِيذَ مُؤَامَرَتِهِ الْخَبِيثَةِ؛ فَوَسْوَسَ لِآدَمَ:

- لِمَاذَا تَحْرِمُ نَفْسَكَ مِنَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ كُلْ مِنْهَا يَا آدَمُ.

وَلَكِنَّ آدَمَ لَمْ يَسْتَجِبْ لإِغْوَائِهِ؛ فَلَجَأَ الشَّيْطَانُ إِلَى الْخِدَاعِ، وَأَقْسَمَ لآدَمَ وَحَوَّاءَ قَائِلًا:



- أُقْسِمُ لَكُمَا إِنَّنِى لَكُمَا نَاصِحٌ أَمِينٌ لَا أُرِيدُ إِلَّا مَصْلَحَتَكُمَا؛ إِنَّ مَنْ يَأْكُلُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يُصْبِحُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَصِيرُ خَالِدًا فِى النَّعِيمِ لَا يَمُوتُ أَبَدًا؛ فَلِمَاذَا تَحْرِمَانِ نَفْسَيْكُمَا مِنْ كُلِّ هَذَا؟

وَأَمَامَ إِلْحَاحِ الشَّيْطَانِ وَتَكْرَارِهِ لِوَسْوَسَتِهِ نَسِىَ آدَمُ أَنَّ إِبْلِيسَ عَدُوُّهُ وَأَنَّ اللهَ قَدْ حَذَّرَهُ هُوَ وَزَوْجَتَهُ مِنْهُ وَمِنْ مَكَائِدِهِ، وَمَا إِنْ ذَاقَ آدَمُ وَحَوَّاءُ ثِمَارَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَتَّى ظَهَرَتْ عَوْرَتُهُمَا الَّتِى لَمْ تَكُنْ قَدْ بَدَتْ لَهُمَا مِنْ قَبْلُ؛ فَشَعَرَا بِالْخَجَلِ الشَّدِيدِ، وَأَخَذَا يَقْطَعَانِ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ لِيَسْتُرَا الْعَوْرَةَ.

وَهُنَا عَاتَبَهُمَا اللهُ تَعَالَى؛ لأَنَّهُمَا نَسِيَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ نَهَاهُمَا عَنِ الشَّجَرَةِ وَحَذَّرَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ. وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَفْعَلَا كَمَا فَعَلَ إِبْلِيسُ، بَلِ امْتَلَآ نَدَمًا، وَأَسْرَعَا إِلَى التَّوْبَةِ، وَقَالَا:

- يَا رَبَّنَا إِنَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا عِنْدَمَا فَعَلْنَا مَا فَعَلْنَا، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَإِلَّا أَصْبَحْنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فَتَقَبَّلَ اللهُ تَوْبَةَ التَّائِبَيْنِ، وَلَكِنَّهُ قَدَّرَ أَنْ تَنْتَهِىَ حَيَاتُهُمَا فِى الْجَنَّةِ؛ لِيَبْدَآ حَيَاةً مُخْتَلِفَةً عَلَى الأَرْضِ.

تُرَى كَيْفَ كَانَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ الْجَدِيدَةُ؟



ابْنَا آدَمَ (قَابِيلُ وَهَابِيلُ)

أُهْبِطَ آدَمُ وَحَوَّاءُ إِلَى الأَرْضِ بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِيَعِيشَا حَيَاتَهُمَا الْجَدِيدَةَ، رَأَتْهُمَا حَيَوَانَاتُ الأَرْضِ وَطُيُورُهَا وَأَحَبَّتْهُمَا؛ لأَنَّهُمَا يَعْرِفَانِ اللهَ وَيُسَبِّحَانِهِ.

وَبَدَأَ بَعْضُ الْبَشَرِ غَيْرِ آدَمَ وَحَوَّاءَ يَظْهَرُونَ عَلَى الأَرْضِ. كَيْفَ ذَلِكَ؟ لَقَدْ بَدَأَتْ حَوَّاءُ تُنْجِبُ أَطْفَالًا، وَوَلَدَتْ حَوَّاءُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، وَكَانَتْ تَلِدُ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَلَدًا وَبِنْتًا، ذَكَرًا وَأُنْثَى.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَالسَّنَوَاتُ وآدَمُ يُعَلِّمُ أَوْلَادَهُ الدِّينَ وَالْعِبَادَةَ وَيَسْعَى فِى الأَرْضِ كَىْ يَأْتِىَ لَهُمْ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَحَوَّاءُ تَحْمِلُ وَتَلِدُ وَتُرَبِّى، وَيُشَارِكُهَا آدَمُ فِى تَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ حَتَّى كَبِرَ هَؤُلَاءِ الأَبْنَاءُ وَوَصَلُوا إِلَى سِنِّ الزَّوَاجِ، وَلَكِنْ مِمَّنْ يَتَزَوَّجُونَ؟ وَلَيْسَ لَهُمْ عَمٌّ وَلَا خَالَةٌ لِيَتَزَوَّجُوا مِنْ أَبْنَائِهِمَا، لَيْسَ عَلَى الأَرْضِ مِنَ النَّاسِ غَيْرُ آدَمَ وَأَبْنَائِهِ؛ لِذَا شَرَعَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ الأَخُ إِحْدَى أَخَوَاتِهِ؛ بِشَرْطِ أَلَّا تَكُونَ تَوْأَمَهُ الَّتِى وُلِدَتْ مَعَهُ فِى الْوِلَادَةِ نَفْسِهَا، بَلِ الَّتِى وُلِدَتْ مَعَ ذَكَرٍ آخَرَ غَيْرِهِ. كَانَ يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا كَىْ يَتَزَوَّجُوا وَيُنْجِبُوا أَبْنَاءً آخَرِينَ، وَيَكْثُرَ النَّاسُ عَلَى الأَرْضِ وَتَسْتَمِرَّ الْبَشَرِيَّةُ.

وَفى إِحْدَى وِلَادَاتِ حَوَّاءَ وَلَدَتْ بِنْتًا جَمِيلَةً كَانَ تَوْأَمُهَا الَّذِى وُلِدَ مَعَهَا يُسَمَّى قَابِيلَ، وَعِنْدَمَا كَبِرَتْ هَذِهِ الْبِنْتُ أَرَادَ هَابِيلُ ـ وَهُوَ أَخٌ لَهَا لَمْ يُولَدْ مَعَهَا ـ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَلَكِنَّ تَوْأَمَهَا قَابِيلَ رَفَضَ بِشِدَّةٍ وَقَالَ:

- لَا، لَنْ يَتَزَوَّجَهَا هَابِيلُ، أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَهَا أَنَا؛ فَهِىَ جَمِيلَةٌ.

قَالُوا لَهُ:

- كَيْفَ يَا قَابِيلُ؟ أَتَتَزَوَّجُ تَوْأَمَكَ وَهِىَ حَرَامٌ عَلَيْكَ لِأَنَّكَ تَرَاهَا جَمِيلَةً؟! إِنَّ الْحَلَالَ هُوَ الأَجْمَلُ دَائِمًا مِنَ الْحَرَامِ؛ لِأَنَّهُ يَجْعَلُكَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ.



قَالَ قَابِيلُ:

- لَا شَأْنَ لِى بِهَذَا؛ وَلَنْ يَتَزَوَّجَ هَذِهِ الْفَتَاةَ أَحَدٌ غَيْرِى!

وَهُنَا أَرَادَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَحْسِمَ الأَمْرَ؛ فَأَمَرَ قَابِيلَ وَهَابِيلَ أَنْ يَتَقَرَّبَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِشَىْءٍ مِمَّا عِنْدَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنْهُ الشَّىْءَ الَّذِى تَقَرَّبَ بِهِ - أَىْ قُرْبَانَهُ - يَتَزَوَّجِ الْفَتَاةَ الْجَمِيلَةَ.

انْطَلَقَ هَابِيلُ إِلَى الأَغْنَامِ الَّتِى عِنْدَهُ وَنَظَرَ فِيهَا جَمِيعًا وَأَخَذَ يُفَكِّرُ: أَىُّ الأَغْنَامِ أَفْضَلُ؟ أَىُّ الأَغْنَامِ أَسْمَنُ؟ يَجِبُ أَنْ أَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِأَفْضَلِ شَىْءٍ عِنْدِى كَمَا أَفْعَلُ عِنْدَمَا أَتَصَدَّقُ؛ فَالصَّدَقَةُ تَقَعُ فِى يَدِ اللهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى يَدِ الْفَقِيرِ.

أَمَّا قَابِيلُ فَقَدِ انْطَلَقَ إِلَى الْمَزْرُوعَاتِ وَالْمَحَاصِيلِ الَّتِى عِنْدَهُ وَوَقَفَ أَمَامَهَا يُفَكِّرُ: أُرِيدُ أَنْ يَتَقَبَّلَ اللهُ قُرْبَانِى



أَنَا، وَإِذَا تَقَبَّلَهُ اللهُ فَسَوْفَ يُرْسِلُ نَارًا تَأْكُلُهُ وَسَأَخْسَرُ مَا أُقَدِّمُهُ مِنْ زَرْعٍ؛ لِذَا سَأَخْتَارُ أَسْوَأَ مَا عِنْدِى مِنَ الزَّرْعِ كَىْ لَا أَخْسَرَهُ إِذَا أَحْرَقَتْهُ النَّارُ!

وَحَانَ وَقْتُ تَقْرِيبِ الْقُرْبَانِ، وَوُضِعَتِ الْغَنَمَةُ السَّمِينَةُ الطَّيِّبَةُ، وَوُضِعَ الزَّرْعُ السَّيِّئُ الْخَبِيثُ. وَعَلَامَةُ تَقَبُّلِ شَىْءٍ مِنْهُمَا هِىَ نُزُولُ نَارٍ مِنَ السَّمَاءِ لِتَأْكُلَ هَذَا الشَّىْءَ؛ فَكَانَ الَّذِى أَكَلَتْهُ النَّارُ هُوَ غَنَمَةُ هَابِيلَ. وَهُنَا اشْتَعَلَتْ نَارٌ أُخْرَى فِى قَلْبِ قَابِيلَ، وَهِىَ نَارُ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ عَلَى أَخِيهِ، وَأَخَذَ الْغَضَبُ يَصْرُخُ بِدَاخِلِهِ: لِمَاذَا تَقَبَّلَ اللهُ مِنْ هَابِيلَ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنِّى؟ لِمَاذَا؟ يَجِبُ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ، سَأَنْتَقِمُ مِنْهُ، سَأَقْتُلُهُ.

هَكَذَا قَرَّرَ قَابِيلُ، وَبِهَذَا أَخْبَرَ أَخَاهُ بِأَنَّهُ سَيَقْتُلُهُ، تُرَى مَاذَا فَعَلَ الْأَخُ الطَّيِّبُ حِينَئِذٍ؟



أَوَّلُ جَرِيمَةِ قَتْلٍ

إِنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِتُدَافِعَ عَنْ نَفسِكَ ضِدَّ شَخْصٍ يُرِيدُ قَتْلَكَ هِىَ أَنْ تَقْتُلَهُ أَنْتَ، وَهَذَا مَا لَا يُرِيدُهُ هَابِيلُ الطَّيِّبُ خَوْفًا مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ لِذَا قَالَ لأَخِيهِ قَابِيلَ الَّذِى قَالَ لَهُ لَأَقْتُلَنَّكَ:

- وَمَا ذَنْبِى؟ أَنَا اتَّقَيْتُ اللهَ وَقَرَّبْتُ لَهُ أَفْضَلَ مَا عِنْدِى فَتَقَبَّلَ مِنِّى؛ فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ:

- إِنْ حَاوَلْتَ قَتْلِى يَا قَابِيلُ فَلَنْ أُحَاوِلَ أَنْ أَقْتُلَكَ؛ لأَنَّنِى أَخَافُ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا قَتَلْتُكَ، وَإِنَّنِى أُرِيدُ أَنْ تَتَحَمَّلَ ذَنْبَ قَتْلِى الَّذِى سَيُضَافُ إِلَى ذُنُوبِكَ السَّابِقَةِ، فَتَكُونَ النَّارُ هِىَ جَزَاءَكَ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الذُّنُوبِ، وَتُصْبِحَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

وَقَدْ كَانَ هَابِيلُ يُرِيدُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يُخَوِّفَ أَخَاهُ مِنَ اللهِ، وَيُحَذِّرَهُ مِنَ الْعِقَابِ الشَّدِيدِ الَّذِى سَيَنْتَظِرُهُ إِذَا قَتَلَهُ، وَلَكِنَّ قَابِيلَ لَمْ يَسْتَمِعْ لِكَلَامِهِ، بَلِ اسْتَمَعَ لِصَوْتِ نَفْسِهِ وَهِىَ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ قَائِلَةً:

- يَجِبُ أَنْ تَقْتُلَ هَابِيلَ؛ إِنَّهُ سَيَكُونُ الأَفْضَلَ فِى عُيُونِ النَّاسِ

وَالْمَحْبُوبَ عِنْدَهُمْ؛ لأَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنْهُ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنْكَ، وَسَتَكُونُ أَنْتَ السَّيِّئَ الْمَكْرُوهَ لَدَيْهِمْ.

فَنَفَّذَ قَابِيلُ مَا قَرَّرَهُ، وَقَتَلَ الأَخُ أَخَاهُ، وَوَقَعَتْ أَوَّلُ جَرِيمَةِ قَتْلٍ عَلَى الأَرْضِ!

وَلأَنَّ الْحِقْدَ وَالْغَضَبَ يَجْعَلَانِنَا لَا نُفَكِّرُ وَلَا نَرَى وَلَا نَدْرِى شَيْئًا عَمَّا نَفْعَلُهُ؛ فَقَدْ أَفَاقَ قَابِيلُ مِنْ سَوْرَةِ حِقْدِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَخَاهُ، لِيَجِدَهُ أَمَامَهُ جُثَّةً هَامِدَةً لَا يَدْرِى مَاذَا يَفْعَلُ بِهَا؛ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَدْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ قَبْلَ هَابِيلَ، وَلَمْ يَكُنِ النَّاسُ قَدْ عَرَفُوا مَاذَا يَفْعَلُونَ بِأَجْسَادِ الْمَوْتَى، أَوْ كَيْفَ يَدْفِنُونَهُمْ.

حَمَلَ الْقَاتِلُ أَخَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَأَخَذَ يَمْشِى بِهِ حَائِرًا لَا يَدْرِى مَاذَا يَفْعَلُ بَعْدَ أَنْ خَسِرَ أَخَاهُ، وَخَسِرَ رِضَا وَالِدَيْهِ، وَخَسِرَ قَبْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ رِضَا اللهِ؛ فَمَاذَا كَسَبَ مِنْ جَرِيمَتِهِ الشَّنْعَاءِ؟

وَبَعْدَ أَنْ طَالَ سَيْرُ قَابِيلَ وَحَيْرَتُهُ وَهُوَ يَحْمِلُ أَخَاهُ جَلَسَ يَسْتَرِيحُ، وَحِينَئِذٍ أَرْسَلَ اللهُ غُرَابَيْنِ وَقَفَا أَمَامَ قَابِيلَ يَتَشَاجَرَانِ وَيَقْتَتِلَانِ، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، فَحَفَرَ الْغُرَابُ الْقَاتِلُ حُفْرَةً فِى الأَرْضِ وَوَضَعَ فِيهَا الْغُرَابَ الْمَقْتُولَ، ثُمَّ غَطَّاهُ بِالتُّرَابِ.

تَنَبَّهَ قَابِيلُ؛ لأَنَّ هَذَا مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِجُثَّةِ أَخِيهِ - أَنْ يَدْفِنَهَا - وَأَخَذَ يَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ:

- لَقَدْ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ - الَّذِى لَا يُفَكِّرُ - فَأَدْفِنَ جُثَّةَ أَخِى!

وَسَكَنَ النَّدَمُ قَلْبَ قَابِيلَ وَأَخَذَ يُرَدِّدُ فِى نَفْسِهِ:

- لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَ أَخِى؛ لَيْتَهُ هُوَ الَّذِى قَتَلَنِى، لَيْتَنِى قَدَّمْتُ أَطْيَبَ مَا عِنْدِى قُرْبَانًا للهِ. لَيْتَنِى... وَلَيْتَنِى...

وَلَكِنْ مَاذَا يُفِيدُ النَّدَمُ يَا قَابِيلُ! لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ وَانْتَهَى الأَمْرُ! هَلْ فَكَّرْتُمْ فِى سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ تُرَى كَيْفَ كَانَ حَالُهُ عِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّ أَحَدَ أَوْلَادِهِ قَدْ قَتَلَ الآخَرَ؟ لَقَدْ حَزِنَ حُزْنًا لَا يُوصَفُ. يُقَالُ إِنَّه بَكَى عَلَى ابْنِهِ الْمَقْتُولِ سِنِينَ طَوِيلَةً؛ لَقَدْ تَحَسَّرَ آدَمُ وَحَوَّاءُ لَيْسَ فَقَطْ عَلَى ابْنِهِمَا الْمِسْكِينِ الْمَقْتُولِ، وَلَكِنْ عَلَى ابْنِهِمَا الْقَاتِلِ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللهِ وَعَذَابَهُ بِقَتْلِهِ أَخَاهُ.

إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُؤْلِمُ وَالِدَيْنَا أَنْ نَتَشَاحَنَ معًا، وَنَتَخَاصَمَ، وَيُقَاطِعَ كُلٌّ مِنَّا الآخَرَ، وَيُحَاوِلَ أَنْ يُؤْذِيَهُ ، فَدَعُونَا لَا نُشْعِرْهُمْ بِهَذَا الأَلَمِ أَبَدًا.

عِنْدَمَا كُنْتُ فِى مِثْلِ سِنِّكُمْ كَانَ الأَمْرُ يَخْتَلِطُ عَلَيَّ؛ فَهَابِيلُ وَقَابِيلُ اسْمَانِ مُتَشَابِهَانِ؛ فَأَيُّهُمَا الطَّيِّبُ الْمَقْتُولُ وَأَيُّهُمَا الشِّرِّيرُ الْقَاتِلُ؟ وَلَكِنَّ حَرْفَ الْقَافِ أَنْقَذَنِى ؛ فَقَدْ وَجَدْتُ أَنَّ اسْمَ قَابِيلَ - الَّذِى قَتَلَ - يَبْدَأُ بِحَرْفِ الْقَافِ، وَهُوَ الْحَرْفُ نَفْسُهُ الَّذِى تَبْدَأُ بِهِ كَلِمَةُ (قَاتِلٍ)؛ فَشُكْرًا لِحَرْفِ الْقَافِ.

ثُمَّ وَجَدْتُ أَنَّ اسْمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْدَأُ بِحَرْفِ الأَلِفِ، وَيَشْتَرِكُ مَعَهُ فِيهِ عَدَدٌ مِنْ أَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَهَلْ تَعْرِفُونَ أَوَّلَ نَبِيٍّ مَشْهُورٍ أَتَى بَعْدَ آدَمَ، وَيَبْدَأُ اسْمُهُ بِحَرْفِ الأَلِفِ؟



إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

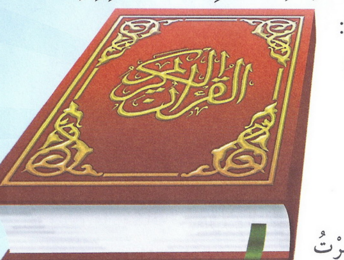
إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَوَّلُ نَبِيٍّ مَشْهُورٍ أَتَى بَعْدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَنَحْنُ نُحِبُّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأَنَّهُ نَبِيٌّ؛ وَلأَنَّنَا ـ كَمَا نُؤْمِنُ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ نُؤْمِنُ بِكُلِّ نَبِيٍّ قَبْلَهُ، سَوَاءٌ أَكَانَ لِهَذَا النَّبِيِّ قِصَّةٌ مَعْرُوفَةٌ أَمْ لَا.

وَسَيِّدُنَا إِدْرِيسُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قِصَّةً لَهُمْ، أَوْ تَفَاصِيلَ عَدِيدَةً عَنْ حَيَاتِهِمْ، وَلَكِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُونَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَنْ سَيِّدِنَا إِدْرِيسَ:

يُرْوَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَيَّ عَمَلٍ صَالِحٍ يَعْمَلُهُ أَيُّ إِنْسَانٍ يَعِيشُ فِي زَمَانِهِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ يُحْسَبُ لِإِدْرِيسَ وَكَأَنَّهُ قَدْ عَمِلَهُ بِالْفِعْلِ؛ دُونَ أَنْ يُنْقِصَ ذَلِكَ مِنْ ثَوَابِ عَامِلِهِ الأَصْلِيِّ شَيْئًا، وَذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَمَّا عَلِمَ إِدْرِيسُ ذَلِكَ أَرَادَ أَنْ تَزْدَادَ أَيَّامُ حَيَاتِهِ؛ كَيْ تَزْدَادَ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا كُلَّ يَوْمٍ، وَكَانَ هُنَاكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إِلَى إِدْرِيسَ فَكَلَّمَهُ إِدْرِيسُ أَنْ يَأْخُذَهُ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ لِيُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ.

فَأَخَذَهُ الْمَلَكُ بَيْنَ جَنَاحَيْهِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ؛ حَيْثُ قَابَلَ

مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِى كَانَ نَازِلًا إِلَى الأَرْضِ، فَكَلَّمَهُ فِى أَمْرِ إِدْرِيسَ.



فَسَأَلَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ:

- وَأَيْنَ إِدْرِيسُ الآنَ؟

قَالَ الْمَلَكُ الآخَرُ:

- إِنَّهُ عَلَى ظَهْرِى.

قَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ:

- يَا لَلْعَجَبِ! لَقَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَهُ فِى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ؛ فَقُلْتُ فِى نَفْسِى: كَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ وَهُوَ الآنَ فِى الأَرْضِ؟

ثُمَّ قَبَضَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَ إِدْرِيسَ فِى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ كَمَا كَانَ مَكْتُوبًا، وَلَمْ يَكُنْ إِدْرِيسُ - مَعَ كَوْنِهِ نَبِيًّا - يَعْلَمُ مَكَانَ مَوْتِهِ أَوْ مِيعَادَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَ أَوْ يُؤَخِّرَ فِى هَذَا الْمِيعَادِ.

وَمُنْذُ آدَمَ إِلَى إِدْرِيسَ، وَبَعْدَ إِدْرِيسَ بِفَتْرَةٍ أَيْضًا، كَانَ كُلُّ النَّاسِ مُؤْمِنِينَ بِاللهِ، مُوَحِّدِينَ لَهُ، وَلَكِنَّ عَقِيدَةَ النَّاسِ بَدَأَتْ تَتَبَدَّلُ، وَقُلُوبُهُمْ بَدَأَتْ تَتَلَوَّثُ؛ فَقَدْ أَصَابَهَا ذَلِكَ الدَّاءُ الْخَطِيرُ.. دَاءُ الشِّرْكِ.

وَظَهَرَ الشِّرْكُ عَلَى الأَرْضِ!

الشِّرْكُ هُوَ أَنْ يَعْبُدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مَا أَوْ شَخْصًا مَا مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْرِفُوا كَيْفَ تَسَلَّلَ الشِّرْكُ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ وَعَكَّرَ صَفْوَ التَّوْحِيدِ، فَتَعَالَوْا مَعِى نَقْتَرِبْ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ، الَّذِينَ جَلَسُوا يَبْكُونَ وَيَذْكُرُونَ رَجُلًا قَدْ مَاتَ يَقُولُونَ إِنَّهُ كَانَ صَالِحًا مُؤْمِنًا، وَعَلَى مَسَافَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاسِ يَقِفُ الشَّيْطَانُ يُرَاقِبُهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ يَضْحَكَ ضِحْكَتَهُ الشَّيْطَانِيَّةَ يَقُولُ فِى نَفْسِهِ:

- إِنَّهَا فُرْصَتِى، سَأَسْتَغِلُّ حُزْنَهُمُ الشَّدِيدَ عَلَى أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ مَاتُوا كَىْ أَبْدَأَ تَنْفِيذَ خُطَّتِى.

وَاقْتَرَبَ الشَّيْطَانُ مِنَ النَّاسِ، رُبَّمَا وَسْوَسَ لَهُمْ أَوْ ظَهَرَ لَهُمْ فِى صُورَةِ إِنْسَانٍ، ثُمَّ قَالَ:



- مَاتَ الرِّجَالُ الصَّالِحُونَ يَا لَلأَسَى! يَا لَلأَسَفِ! كَمْ كَانُوا أَتْقِيَاءَ عُبَّادًا، لَكُمُ الْحَقُّ أَنْ تَحْزَنُوا عَلَيْهِمْ كُلَّ هَذَا الْحُزْنِ؛ لِهَذَا أَقْتَرِحُ عَلَيْكُمُ اقْتِرَاحًا يُهَوِّنُ عَلَيْكُمْ حُزْنَكُمْ: لِمَاذَا لَا أَصْنَعُ لَكُمْ صُوَرًا وَتَمَاثِيلَ عَلَى شَكْلِ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ لِتَضَعُوهَا فِى مَجَالِسِكُمْ، وَكُلَّمَا رَأَيْتُمُ التَّمَاثِيلَ ذَكَّرَتْكُمْ بِالصَّالِحِينَ وَعِبَادَتِهِمْ لِتَتَعَبَّدُوا مِثْلَهُمْ؟

اسْتَحْسَنَ الْقَوْمُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ وَقَالُوا لَهُ:

- إِذَنِ اصْنَعْ لَنَا هَذِهِ الصُّوَرَ وَالتَّمَاثِيلَ.

وَصَنَعَهَا الشَّيْطَانُ، وَوَضَعَهَا النَّاسُ فِى مَجَالِسِهِمْ، وَظَلَّ الشَّيْطَانُ يُرَاقِبُهُمْ وَهُمْ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِكُلِّ احْتِرَامٍ وَتَبْجِيلٍ، وَيَتَذَكَّرُونَ بِهَا الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِى نَفْسِهِ:

- إِنَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَهُمْ وَلَا يَعْبُدُونَهُمْ؛ فَلأَلْجَأْ إِلَى الْخُطْوَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ خُطَّتِى إِذَنْ.



وَعَادَ الشَّيْطَانُ إِلَى النَّاسِ يَقُولُ لَهُمْ:

- أَلَا تَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ أَصْنَعَ لَكُمْ تَمَاثِيلَ أُخْرَى تَضَعُونَهَا فِى بُيُوتِكُمْ؛ كَىْ لَا يَغِيبَ ذِكْرُ الصَّالِحِينَ عَنْ بَالِكُمْ أَبَدًا؟

فَأَقَرَّهُ النَّاسُ عَلَى رَأْيِهِ، وَأَصْبَحَ لَدَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَمَاثِيلُ فِى بَيْتِهِ. وَظَلَّ الشَّيْطَانُ يُتَابِعُ النَّاسَ حَتَّى قَالَ:

- آه! مَا زَالَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ لَا يَعْبُدُونَ التَّمَاثِيلَ، رُبَّمَا بَعْدَ أَنْ يَمُوتُوا وَيَأْتِى أَبْنَاؤُهُمْ؛ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُؤَثِّرَ عَلَى الأَبْنَاءِ فَيَعْبُدُوهَا.

بَدَأَ الأَبْنَاءُ يَرَوْنَ تَعْظِيمَ آبَائِهِمْ لِهَذِهِ التَّمَاثِيلِ وَحَفَاوَتَهُمْ بِهَا، وَلَمَّا مَاتَ آبَاؤُهُمْ جَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ يَقُولُ:

- إِنَّ آبَاءَكُمُ اهْتَمُّوا بِهَذِهِ التَّمَاثِيلِ لأَنَّهَا مُبَارَكَةٌ، فَخُذُوهَا مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ؛ كَىْ تَجْلِبَ لَكُمُ الْخَيْرَ وَالْحَظَّ السَّعِيدَ.



وَلَمَّا مَاتُوا ذَهَبَ الشَّيْطَانُ إِلَى أَبْنَائِهِمْ لِيُنَفِّذَ الْخُطْوَةَ الأَخِيرَةَ مِنْ خُطَّتِهِ؛ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِمْ قَائِلًا:

- إِنَّ آبَاءَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ عَظَّمُوا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ مُجَرَّدَ أَحْجَارٍ، بَلْ بِهَا قُوَّةٌ خَفِيَّةٌ، وَلَهَا تَأْثِيرَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ؛ إِنَّهَا آلِهَةٌ فَاعْبُدُوهَا، اسْجُدُوا لَهَا، وَادْعُوهَا فَإِنَّهَا تَرَى وَتَسْمَعُ، اطْلُبُوا مِنْهَا مَا تُرِيدُونَ فَإِنَّهَا تُعْطِى وَتَمْنَعُ، قَدِّمُوا لَهَا الْقَرَابِينَ لِتَرْضَى فَإِنَّهَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ؛ إِنَّهَا آلِهَةٌ... آلِهَةٌ.

وَدَوَّتْ ضِحْكَتُهُ الشَّيْطَانِيَّةُ؛ فَقَدْ صَدَّقَ النَّاسُ كَلَامَهُ، وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، وَأَخَذَ الشَّيْطَانُ يَقْفِزُ مِنَ الْفَرْحَةِ وَهُوَ يَصِيحُ:

- لَقَدِ انْتَصَرْتُ عَلَيْكَ أَخِيرًا يَا آدَمُ.. يَا مَنْ عَلَّمْتَ أَبْنَاءَكَ التَّوْحِيدَ، تَعَالَ وَشَاهِدْهُمْ وَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلأَصْنَامِ... هَا... هَا... هَا.

وَتَلَوَّثَتِ الأَرْضُ بِدَنَسِ الشِّرْكِ، وَصَارَتْ كُلُّ مَخْلُوقَاتِهَا حَزِينَةً كَارِهَةً لِلإِنْسَانِ الَّذِى عَبَدَ غَيْرَ اللهِ. وَلَكِنْ هَلْ يَرْضَى اللهُ أَنْ يَنْتَصِرَ الشِّرْكُ عَلَى التَّوْحِيدِ؟ أَنْ يَسْجُدَ الإِنْسَانُ الَّذِى كَرَّمَهُ اللهُ بِالْعَقْلِ لأَحْجَارٍ لَا تَرَى وَلَا تَسْمَعُ؟

لَا؛ إِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ؛ لِهَذَا أَرْسَلَ اللهُ أَوَّلَ رَسُولٍ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ؛ لِيُطَهِّرَهَا مِنَ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ وَيُعِيدَ إِلَيْهَا التَّوْحِيدَ نَقِيًّا صَافِيًا. إِنَّهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَ اللهُ نُوحًا نَبِيًّا وَرَسُولًا بَعْدَ أَنْ عُبِدَتِ الأَصْنَامُ، وَوَقَفَ نُوحٌ يُعْلِنُ دَعْوَتَهُ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَقَالَ لَهُمْ:

- يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَاتْرُكُوا عِبَادَةَ الأَصْنَامِ.

نَظَرَ مَنْ حَوْلَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا:

- مَا هَذَا الْكَلَامُ؟

فَقَالَ نُوحٌ:

- يَا قَوْمِ اتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِي؛ إِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ وَاحِدٌ مِنْ قَوْمِهِ:

- مَاذَا تَقُولُ؟ أَنَعْبُدُ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَتْرُكُ الأَصْنَامَ؟ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ!

وَبَدَأَ النَّاسُ يَصِيحُونَ؛ فَوَاحِدٌ يَقُولُ: مَجْنُونٌ! وَآخَرُ يَقُولُ: ضَالٌّ! وَثَالِثٌ يَقُولُ: كَاذِبٌ!

فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- لَسْتُ مَجْنُونًا وَلَا ضَالًّا؛ إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ بَعَثَنِي اللهُ إِلَيْكُمْ؛ لأُبَلِّغَكُمْ رِسَالَاتِهِ وَأَوَامِرَهُ، وَأَنْصَحَكُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ؛ فَأَطِيعُونِي؛ فَأَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَبِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ.

فَقَامَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ:

- يَا قَوْمِ إِنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يُصْبِحَ أَفْضَلَ مِنْكُمْ؛ لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا أَوْ سُلْطَانًا عَلَيْكُمْ.

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلًا:

- نَعَمْ إِنَّنِي بَشَرٌ، وَلَا أَدَّعِي أَنَّنِي مَلَكٌ، أَوْ أَنَّ عِنْدِي خَزَائِنَ اللهِ، أَوْ أَنَّنِي أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَكِنَّنِي بَشَرٌ رَسُولٌ مُكَلَّفٌ بِأَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَلَا أَسْعَى مِنْ وَرَاءِ دَعْوَتِي إِلَى سُلْطَانٍ أَوْ مُلْكٍ، وَلَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مَالًا؛ فَاللهُ هُوَ مَنْ يَمْنَحُنِي الْأَجْرَ عَلَى دَعْوَتِي لَكُمْ.



قَالَ السَّادَةُ وَالأَغْنِيَاءُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ:

- أَتُرِيدُنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِدَعْوَتِكَ الَّتِى لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا إِلَّا الضُّعَفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَهُمْ أَحْقَرُ مَنْ فِينَا؟ أَتُرِيدُ أَنْ نُؤْمِنَ مِثْلَهُمْ فَنَتَسَاوَى بِهِمْ؟

قَالَ نُوحٌ:

- لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْعِدَ هَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءَ عَنِّى، أَوْ أَقُولَ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَنْ يُثِيبَكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمْ وَيَجْزِيكُمْ خَيْرًا؛ فَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنْفُسِهِمْ؛ إِنْ كَانَ خَيْرًا فَلَهُمُ الْخَيْرُ.

فَقَالَ الْكُفَّارُ:



- لَقَدْ أَطَلْتَ فِى نِقَاشِنَا وَجِدَالِنَا، فَأْتِنَا بِالْعَذَابِ الَّذِى تُخَوِّفُنَا بِهِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا.

قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- إِنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَكُمْ بِالْعَذَابِ إِنْ شَاءَ، وَلَنْ يَصْعُبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

- مَاذَا أَفْعَلُ لَكُمْ أَيُّها النَّاسُ؟ إِنَّنِى لَا أَسْتَطِيعُ هِدَايَتَكُمْ أَوْ إِخْرَاجَ الشِّرْكِ مِنْ قُلُوبِكُمْ؛ فَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ مَنْ يَهْدِى وَيُضِلُّ.

كَانَ هَذَا وَاحِدًا مِنَ الْحِوَارَاتِ الْعَدِيدَةِ الَّتِى دَارَتْ بَيْنَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ؛ فَقَدْ ظَلَّ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ سَنَةً لَا يَدَّخِرُ وُسْعًا فِى مُحَاوَلَةِ إِقْنَاعِهِمْ؛ فَقَدْ حَاوَلَ فِى كُلِّ الْأَوْقَاتِ وَبِكُلِّ الطُّرُقِ؛ فَكَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَقِفُ بَيْنَهُمْ يَدْعُوهُمْ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَيَذْهَبُ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ أَوْ جَمَاعَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى حِدَةٍ، فَيُحَدِّثُهُمْ سِرًّا، وَلَكِنَّهُمْ قَابَلُوا كُلَّ هَذَا بِالرَّفْضِ وَالْفِرَارِ، فَكَانَ إِذَا كَلَّمَهُمْ يَضَعُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ كَىْ لَا يَصِلَهَا صَوْتُهُ، وَيُغَطُّونَ وُجُوهَهُمْ بِثِيَابِهِمْ؛ كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّنَا لَا نُرِيدُ أَنْ نَرَاكَ يَا نُوحُ!

كُلُّ هَـذَا الْعِنَـادِ مَعَ أَنَّـهُ كَانَ يَدْعُوهُمْ لِمَا فِيـهِ مَصْلَحَتُهُمْ؛ فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ:

- آمِنُوا كَـىْ يُكَفِّـرَ اللهُ عَنْكُـمْ سَـيِّئَاتِكُمْ، وَاسْـتَغْفِرُوا اللهَ يَرْزُقْكُمْ بِالأَمْـوَالِ وَالْبَنِيـنَ وَالأَمْطَـارِ، وَبِالْحُقُـولِ وَافِرَةِ الثِّمَـارِ، وَيُجْرِ لَكُـمُ الأَنْهَـارَ. وَلِمَاذَا لاَ تُعَظِّمُـونَ اللهَ وَتُوَحِّدُونَهُ وَتَسْـتَغْفِرُونَهُ فَهُوَ الْغَفَّارُ، وَهُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّـمَاوَاتِ السَّبْعَ وَخَلَقَ فِيهِنَّ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ يُضِيئَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟ أَلاَ يَسْـتَحِقُّ هَذَا الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِى أَبْدَعَ كُلَّ ذَلِكَ وَحْدَهُ دُونَ مُسَـاعَدَةٍ مِنْ أَحَدٍ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ دُونَ أَنْ تُشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا؟

وَلَكِـنْ لاَ فَائِدَةَ مِنَ الْكَلاَمِ؛ فَقَدْ وَصَلَتْ إِسَـاءَةُ قَـوْمِ نُوحٍ لَهُ أَنَّ الأَبَ كَانَ يُشِيرُ إِلَى نُوحٍ وَيَقُولُ لاِبْنِهِ:

- إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَجْنُونٌ وَهُوَ الَّذِى يَجْلِبُ الشَّرَّ عَلَى النَّاسِ فَلاَ تَتْبَعْهُ أَبَدًا!!

وَيَئِسَ نُوحٌ مِـنْ إِصْلاَحِ قَوْمِـهِ وَإِيمَانِهِمْ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السِّـنِينَ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ: أَلَّا يَتْرُكَ اللهُ عَلَى الأَرْضِ أَحَدًا مِنَ الْكَافِرِينَ، وَشَـكَا نُوحٌ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ:

- يَا رَبِّ إِنَّنِى فَعَلْتُ كُلَّ مَا أَسْتَطِيعُ لِدَعْوَةِ قَوْمِى؛ فَلَمْ يُؤْمِنْ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ، فَانْصُرْنِى يَا رَبِّ وَانْصُرْ دِينَكَ.

فَأَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ إِلَّا الْقِلَّةُ الَّتِى آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ؛ فَقَدْ أُغْلِقَتِ الْقُلُوبُ الْمُشْرِكَةُ عَلَى شِرْكِهَا، وَلَنْ تُفْتَحَ لِلْإِيمَانِ أَبَدًا، وَأَمَرَهُ بِأَلَّا يَحْزَنَ أَوْ يَغْتَمَّ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ عِنَادٍ وَإِيذَاءٍ؛ فَإِنَّ أَمْرَهُمْ قَدْ حُسِمَ، وَإِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ لَمْ يَعُدْ هَمُّ نُوحٍ دَعْوَةَ قَوْمِهِ، بَلْ بَدَأَ يَجِدُّ وَيَجْتَهِدُ فِى الْأَمْرِ الْجَدِيدِ الَّذِى جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ صُنْعُ سَفِينَةِ النَّجَاةِ.



تَطْهِيرُ الأَرْضِ

حُسِمَ أَمْرُ الْكُفَّارِ، سَيَأْخُذُهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ وَيَقْتُلُهُمْ، وَلَنْ تُكْتَبَ النَّجَاةُ إِلَّا لِنُوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ؛ فَسَيَجْتَمِعُونَ فِى سَفِينَةٍ تُنْقِذُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِى سَيَقْضِى عَلَى الْكُفَّارِ. وَلَكِنْ أَيْنَ هَذِهِ السَّفِينَةُ؟

أَمَرَ اللهُ نُوحًا أَنْ يَصْنَعَهَا، وَأَلَّا يُكَلِّمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِى أَمْرِ الْكُفَّارِ، فَلَا يَدْعُو بِهِدَايَتِهِمْ أَوْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ.

وَبَدَأَ نُوحٌ عَمَلَهُ الشَّاقَّ؛ يُقَالُ إِنَّهُ ظَلَّ يَزْرَعُ الأَشْجَارَ مِائَةَ عَامٍ، ثُمَّ قَطَعَ أَخْشَابَهَا وَجَهَّزَهَا لِتُصْبِحَ أَلْوَاحًا خَشَبِيَّةً، وَأَتَى بِالأَدَوَاتِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْ مَسَامِيرَ وَغَيْرِهَا؛ كُلُّ ذَلِكَ بِتَعْلِيمٍ مِنَ اللهِ وَعَوْنٍ.



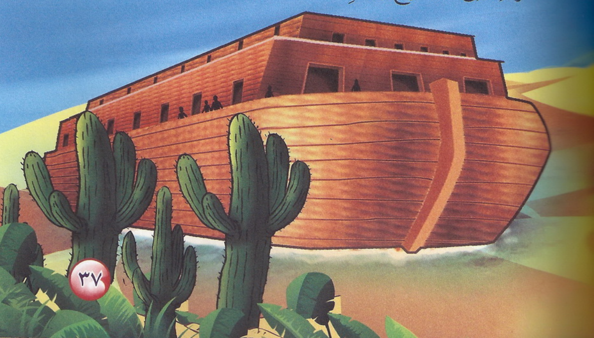
وَيَمْكُثُ نُوحٌ يَصْنَعُ سَفِينَتَهُ عَلَى رِمَالِ الصَّحْرَاءِ حَيْثُ لَا يُوجَدُ بَحْرٌ أَمَامَهُ وَلَا نَهْرٌ قَرِيبٌ مِنْهُ، وَيَمُرُّ عَلَيْهِ كُفَّارُ قَوْمِهِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ قَائِلِينَ:

- أَيْنَ سَتُبْحِرُ سَفِينَتُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟ هَلْ سَتَطْفُو عَلَى الرِّمَالِ؟ أَمْ سَتَطِيرُ فِى الْهَوَاءِ؟

وَيَسْتَمِرُّ نُوحٌ فِى عَمَلِهِ صَابِرًا عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ قَائِلًا:

- إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّى وَمِمَّنْ آمَنَ مَعِى فَإِنَّنَا نَسْخَرُ مِنْكُمْ، وَسَتَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الَّذِى يَسْتَحِقُّ السُّخْرِيَةَ.

وَأَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ إِذَا فَارَ التَّنُّورُ فَهَذِهِ عَلَامَةٌ لِيَبْدَأَ بَعْدَهَا فِى جَمْعِ رُكَّابِ السَّفِينَةِ ثُمَّ يُبْحِرَ بِهِمْ، أَمَّا التَّنُّورُ فَهُوَ الْفُرْنُ الَّذِى يُخْبَزُ فِيهِ الْخُبْزُ، أَوْ هُوَ سَطْحُ الأَرْضِ؛ فَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ بِـ «فَارَ التَّنُّورُ»: أَىْ إِذَا خَرَجَ الْمَاءُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الأَفْرَانِ الَّتِى لَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا النَّارُ.



أَمَّا رُكَّابُ السَّفِينَةِ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ نُوحًا أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالأَحْيَاءِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَهُ أَنْ يَجْمَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِى السَّفِينَةِ، وَيَجْمَعَ أَهْلَهُ إِلَّا مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ وَكُتِبَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ.

نَعَمْ، لَا تَتَعَجَّبُوا؛ فَقَدْ كَانَتْ زَوْجَةُ النَّبِىِّ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَافِرَةً، وَكَانَتْ تَسْخَرُ مِنْهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ تُعِينَهُ عَلَى دَعْوَتِهِ، وَكَانَتْ تُحَرِّضُ الْكُفَّارَ ضِدَّهُ وَضِدَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ وَاحِدٌ مِنْ أَبْنَاءِ نُوحٍ كَافِرًا أَيْضًا؛ فَنُوحٌ لَا يَمْلِكُ أَنْ يَهْدِىَ ابْنَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ مَا لَمْ يَكْتُبِ اللهُ لَهُمَا الْهِدَايَةَ.

وَهَا هُوَ ذَا التَّنُّورُ يَفُورُ، وَهَا هِىَ ذِى اللَّحْظَةُ الْحَاسِمَةُ تَحِينُ، وَهَا هُوَ ذَا الْمَاءُ يَتَفَجَّرُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِى الأَرْضِ، وَيَجْمَعُ نُوحٌ رُكَّابَ السَّفِينَةِ بِدَاخِلِهَا كَمَا أَمَرَهُ اللهُ.

وَيُقَالُ إِنَّهُ جَعَلَ الْحَيَوَانَاتِ فِى الطَّابَقِ الأَوَّلِ مِنَ السَّفِينَةِ، وَفِى الطَّابَقِ الثَّانِى الَّذِى يَعْلُوهُ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْبَشَرِ، وَفِى أَعْلَى الطَّوَابِقِ كَانَتِ الطُّيُورُ، وَبَعْدَ أَنِ اتَّخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَكَانَهُ حَمِدَ نُوحٌ رَبَّهُ - كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ - عَلَى أَنْ نَجَّاهُ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَدَعَاهُ أَنْ يُنْزِلَهُ مِنَ السَّفِينَةِ فِى مَكَانٍ مُبَارَكٍ.



وَأَخِيرًا وَجَدَتِ السَّفِينَةُ الْمَاءَ الَّذِى تَجْرِى عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ مَاءٍ، إِنَّهُ طُوفَانٌ؛ فَالأَمْطَارُ تَنْهَمِرُ مِنَ السَّمَاءِ بِغَزَارَةٍ شَدِيدَةٍ لِتَجْرِى عَلَى الأَرْضِ سُيُولًا تَجْرِفُ كُلَّ مَا أَمَامَهَا، وَعُيُونُ الْمَاءِ تَتَفَجَّرُ مِنَ الأَرْضِ حَتَّى تُغَطِّيَهَا جَمِيعَهَا بِالْمَاءِ.

وَيَلْتَقِى مَاءُ السَّمَاءِ بِمَاءِ الأَرْضِ وَبَيْنَهُمَا الْكُفَّارُ يَأْتِيهِمُ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ، وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شِمَالِهِمْ، يُحَاوِلُونَ الصُّعُودَ إِلَى أَسْطُحِ الْمَنَازِلِ، أَوْ تَسَلُّقَ الْجِبَالِ فِرَارًا مِنَ الْغَرَقِ، وَلَكِنَّ الْمَاءَ يُطَارِدُهُمْ، يَعْلُو شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُدْرِكَهُمْ وَيُغَطِّىَ رُءُوسَهُمْ.

وَمِنْ فَوْقِ السَّفِينَةِ يَرَى نُوحٌ ابْنَهُ الْكَافِرَ الَّذِى لَمْ يَرْكَبْ مَعَهُ فَيُنَادِيهِ قَائِلًا:

- يَا بُنَىَّ ارْكَبْ مَعَنَا.

وَهُنَا يَقُولُ الابْنُ:

- سَأَحْتَمِى بِجَبَلٍ عَالٍ يَمْنَعُ الْمَاءَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَىَّ.

فَيَقُولُ لَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- لَا شَىْءَ يَحْمِى - الْيَوْمَ - مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِى كَتَبَهُ اللهُ عَلَى الْكَافِرِينَ.

وَيَنْقَطِعُ الْحِوَارُ بَيْنَهُمَا فَجْأَةً؛ فَقَدْ جَاءَتْ مَوْجَةٌ عَالِيَةٌ وَفَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ يَرَ نُوحٌ ابْنَهُ هَذَا مَرَّةً أُخْرَى، لَعَلَّ هَذِهِ الْمَوْجَةَ قَدِ



ابْتلَعَتْهُ، أَوِ ابْتلَعتهُ مَوْجَةٌ غَيرُهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ - في النِّهَايَةِ - مِنَ الْمُغْرَقِينَ.

وَبَعْدَ أَنْ غُسِلَتِ الأَرْضُ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَطَهُرَتْ مِنَ الْكُفْرِ، وَغَرِقَ الْجَمِيعُ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ، أَمَرَ اللهُ السَّمَاءَ أَنْ تَكُفَّ عَنْ إِنْزَالِ الْمَطَرِ، وَأَمَرَ الأَرْضَ أَنْ تَبْلَعَ مَاءَهَا، وَبَقِيَ الْمَاءُ الَّذِي يَحْمِلُ السَّفِينَةَ، حَتَّى رَسَتْ في النِّهَايَةِ عَلَى جَبَلٍ يُسَمَّى «الْجُودِيّ».

وَكَانَ هُنَاكَ أَمْرٌ يَشْغَلُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ بِنِدَاءٍ:

- يَا رَبِّ، إِنَّ ابْنِي الَّذِي غَرِقَ مِنْ أَهْلِي، وَقَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ تُنَجِّيَ أَهْلِي، وَأَنَا مُؤْمِنٌ بِأَنَّكَ لَا تُخْلِفُ وَعْدَكَ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَلَكِنِّي لَا أَفْهَمُ مَا حَدَثَ!

فَأَجَابَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّ ابْنَهُ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ الَّذِينَ وَعَدَهُ اللهُ بِنَجَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا مِنَ الَّذِينَ سَبَقَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى عِنْدَمَا أَمَرَ نُوحًا أَنْ يَجْمَعَ رُكَّابَ السَّفِينَةِ بِدَاخِلِهَا أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا أَهْلَهُ؛ فَقَالَ تَعَالَى فِي سورة هود:

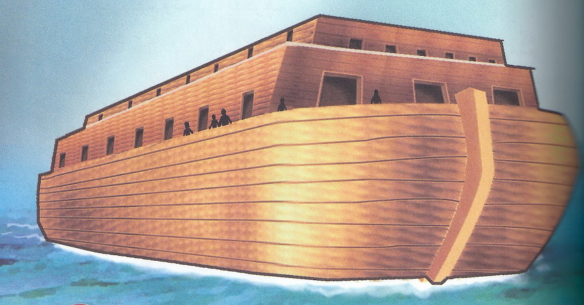
﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾، أَيْ: احْمِلْ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْغَرَقُ لِأَنَّهُ كَانَ كَافِرًا، وَهَذَا الابْنُ كَانَ كَافِرًا، كَمَا أَنَّ أَعْمَالَهُ لَمْ تَكُنْ صَالِحَةً. وَرُبَّمَا كَانَ هَذَا الابْنُ مُظْهِرًا لِلْإِيمَانِ، مُبْطِنًا لِلْكُفْرِ؛ لِهَذَا ظَنَّهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُؤْمِنًا، وَلَمْ يَعْرِفْ لِمَاذَا غَرِقَ.

وَبَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ بِالسَّبَبِ، أَخْبَرَهُ بِأَلَّا يَسْأَلَهُ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ؛ فَخَافَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَغْضَبَ اللهَ تَعَالَى بِكَلَامِهِ عَنِ ابْنِهِ، فَأَسْرَعَ يَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ غَضَبِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ رَسَتِ السَّفِينَةُ فى الْمَكَانِ الَّذِى اخْتَارَهُ اللهُ لَهَا، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْبَطَهُ بِسَلَامٍ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَارَكَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ يَأْتِى مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ مَنْ يَأْتِى مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْعُصَاةِ سَيَتَمَتَّعُونَ بِحَيَاتِهِمْ فى الدُّنْيَا، ثُمَّ يَنَالُهُمُ الْعَذَابُ الأَلِيمُ مِنَ اللهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

اسْتَقَرَّ النَّاسُ عَلَى الأَرْضِ، وَبَدَءُوا يَتَنَاسَلُونَ وَيَكْثُرُونَ، كَمَا كَثُرَتْ أَيْضًا الْحَيَوَانَاتُ وَالطُّيُورُ، وَهَكَذَا بَدَأَتْ حَيَاةٌ جَدِيدَةٌ عَلَى الأَرْضِ، كُلُّ مَنْ فِيهَا مُؤْمِنُونَ، وَلَكِنْ هَلْ يَتْرُكُ الشِّرْكُ الأَرْضَ لِلإِيمَانِ دُونَ أَنْ يُطَارِدَهُ وَيُشْهِرَ السَّيْفَ فى وَجْهِهِ؟

اتْبَعُونِى إِلَى الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ كَىْ نَعْرِفَ.



هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا، لِلْأَسَفِ كَانَتْ لَا هِىَ إِجَابَةَ السُّؤَالِ السَّابِقِ، فَإِنَّ الشِّرْكَ الَّذِى أَغْرَقَتْهُ مِيَاهُ الطُّوفَانِ ظَلَّ مُخْتَفِيًا تَحْتَهَا فَتْرَةً مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى مَاتَ الْمُؤْمِنُونَ النَّاجُونَ مِنَ الطُّوفَانِ، بَلْ رُبَّمَا حَتَّى مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَأَحْفَادُهُمْ، ثُمَّ وَجَدَ الشِّرْكُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدَيْهِ لِيَنْتَشِلَهُ مِنْ غَرَقِهِ وَيَطْفُوَ بِهِ إِلَى سَطْحِ الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى، إِنَّهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ وَالَّذِى جَاءَ لِلنَّاسِ مُوَسْوِسًا:

- لَا بُدَّ أَنَّ أَجْدَادَكُمُ الَّذِينَ نَجَّاهُمُ اللهُ مِنَ الطُّوفَانِ كَانَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ قَدْرٌ عَظِيمٌ، فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا تَمَاثِيلَ عَلَى أَشْكَالِهِمْ؛ تَقْدِيرًا لَهُمْ وَتَخْلِيدًا لِذِكْرِهِمْ.

وَكَمَا حَدَثَ فِى الْمَرَّةِ الْأُولَى: بَدَأَ الْأَمْرُ بِاحْتِرَامِ التَّمَاثِيلِ، ثُمَّ بِتَقْدِيسِهَا، ثُمَّ بِعِبَادَتِهَا وَاتِّخَاذِهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ!!

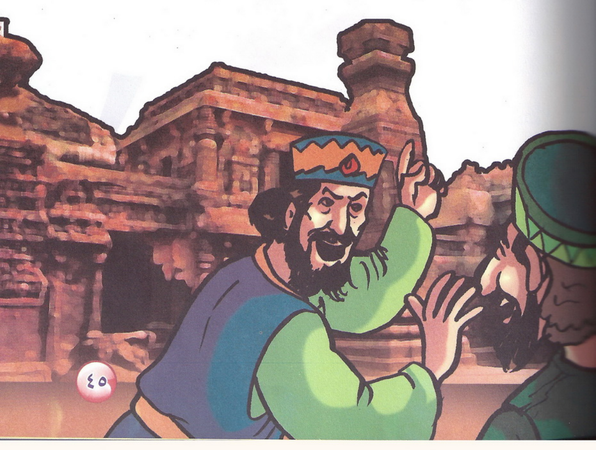
وَلِأَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ؛ فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ رَسُولًا إِلَى قَوْمِ عَادٍ وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ بَعْدَ الطُّوفَانِ، وَكَانَتْ قَبِيلَةُ عَادٍ تَسْكُنُ الْأَحْقَافَ وَهِىَ أَرْضٌ فِى بِلَادِ الْيَمَنِ بَيْنَ عُمَانَ وَحَضْرَمَوْتَ، وَقَدْ رَزَقَ اللهُ أَهْلَ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ الْقُوَّةَ فِى الْأَبْدَانِ وَفِى الْبُنْيَانِ؛ فَكَانَتْ

أَجْسَامُهُمْ شَدِيدَةً قَوِيَّةً، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَبْنُوا الْقُصُورَ وَالأَبْنِيَةَ الْهَائِلَةَ الْمَتِينَةَ حَتَّى صَارُوا يُشَيِّدُونَ هَذِهِ الأَبْنِيَةَ عَلَى كُلِّ مُرْتَفَعٍ حَوْلَهُمْ عَبَثًا وَاسْتِعْرَاضًا لِقُوَّتِهِمْ، ثُمَّ يَتْرُكُونَهَا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا وَيَسْكُنُونَ خِيَامَهُمُ الَّتِي بَنَوْهَا عَلَى أَعْمِدَةٍ ضَخْمَةٍ.

وَمِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَقْوَى الْبَشَرِ وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، بُعِثَ نَبِيُّ اللهِ هُودٌ الَّذِي يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ هُوَ الأَقْوَى وَالأَقْدَرُ، وَبَدَأَ يُنَبِّهُ قَوْمَهُ إِلَى ذَلِكَ وَيَدْعُوهُمْ قَائِلًا:

- يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ.

وَلَمْ يَتَفَكَّرِ الْقَوْمُ لَحْظَةً فِيمَا قَالَ، بَلْ بَادَرُوهُ بِهَذِهِ الْوَقَاحَةِ:





- إِنَّكَ لَسَفِيهٌ جَاهِلٌ، بَلْ إِنَّنَا لَنَظُنُّكَ كَاذِبًا تَدَّعِى أَنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِدَعْوَتِنَا وَهُوَ لَمْ يَأْمُرْكَ!!

وَفِى هُدُوءٍ وَحِلْمٍ يَرُدُّ النَّبِىُّ:

- يَا قَوْمِ لَسْتُ جَاهِلًا وَلَا سَفِيهًا، بَلْ أَنَا رَسُولٌ مِنَ اللهِ مَأْمُورٌ بِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ إِلَيْكُمْ وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا أَنْقُصُ، وَأَنَا حَرِيصٌ عَلَى مَصْلَحَتِكُمْ، فَآمِنُوا بِاللهِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عِقَابَهُ.

وَيَتَعَجَّبُ قَوْمُ هُودٍ مِنْ دَعْوَتِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ قَائِلِينَ:

- أَجِئْتَنَا لِنَتْرُكَ كُلَّ الأَصْنَامِ الَّتِى عَبَدَهَا آبَاؤُنَا وَنَعْبُدَ إِلَهَكَ وَحْدَهُ؟ إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجِيبٌ.

وَيَنْصَرِفُ الْقَوْمُ عَنْ هُودٍ، وَيَجْتَمِعُ كِبَارُهُمْ لِيَتَشَاوَرُوا فِى أَمْرِهِ فَيَقُولُ أَوَّلُهُمْ:

- كَيْفَ يَدَّعِى هَذَا الرَّجُلُ أَنَّ اللهَ يُوحِى إِلَيْهِ وَيَتَّخِذُهُ رَسُولًا؟ إِنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُنَا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ.



وَقَالَ الثَّانِى:

- إِنَّهُ يَعِدُنَا أَنَّنَا بَعْدَ أَنْ نَمُوتَ وَتَتَحَوَّلَ أَجْسَادُنَا إِلَى تُرَابٍ وَعِظَامٍ، سَوْفَ نَحْيَا مَرَّةً أُخْرَى كَىْ نُحَاسَبَ. إِنَّ مَا يَقُولُهُ لَمُسْتَحِيلٌ.

وَيَقُومُ الثَّالِثُ لِيُؤَكِّدَ كَلَامَهُ:

- نَعَمْ إِنَّنَا لَنْ نَعِيشَ إِلَّا فِى الدُّنْيَا؛ نَحْيَا ثُمَّ نَمُوتُ، وَلَنْ نُبْعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا.

هَذَا مَا قَرَّرَهُ كُبَرَاءُ الْقَوْمِ وَأَعْلَنُوهُ أَمَامَ الْقَبِيلَةِ كُلِّهَا، حَتَّى صَارَ هَذَا رَأْىَ كُلِّ فَرْدٍ فِيهَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِهُودٍ وَاتَّبَعُوهُ.

عَاقِبَةُ التَّحَدِّى

كَانَ نَبِىُّ اللهِ هُودُ يَحْمِلُ رِسَالَةَ اللهِ فِى قَلْبِهِ وَيُتَرْجِمُهَا بِلِسَانِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ يَقِفُ فِى قَوْمِهِ دَاعِيًا، فَتَصَدَّى لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْكُفَّارِ قَائِلًا:

- هَلْ سَتُكَرِّرُ كَلَامَكَ الْعَجِيبَ يَا هُودُ؟ يَبْدُو أَنَّ أَحَدَ آلِهَتِنَا قَدْ غَضِبَ عَلَيْكَ لِأَنَّكَ تَكْفُرُ بِهِ، فَأَصَابَكَ بِالْجُنُونِ حَتَّى أَصْبَحْتَ تَهْذِى دَائِمًا بِهَذَا الْكَلَامِ.
- لَا تَقُولُوا هَذَا وَاتَّقُوا اللهَ، أَلَيْسَ هُوَ مَنْ رَزَقَكُمُ الْأَنْعَامَ وَآبَارَ الْمَاءِ وَالْبَسَاتِينَ وَالْقُوَّةَ الَّتِى تُشَيِّدُونَ بِهَا الْقُصُورَ؟!
- اذْكُرْ مَا شِئْتَ مِنَ النِّعَمِ يَا هُودُ، فَلَنْ نَتَخَلَّى عَنْ آلِهَتِنَا الَّتِى عَبَدْنَاهَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا.
- إِنَّهَا تَمَاثِيلُ صَنَعْتُمُوهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَاتَّفَقْتُمْ عَلَى تَسْمِيَتِهَا بِالْآلِهَةِ، وَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ دَلِيلًا عَلَى أُلُوهِيَّتِهَا. أَتَرْفُضُونَ عِبَادَةَ اللهِ مِنْ أَجْلِهَا؟!!

- نَعَمْ نَفْعَلُ ذَلِكَ وَنُصِرُّ عَلَيْهِ! وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَائْتِنَا بِالْعَذَابِ الَّذِى تُحَذِّرُنَا مِنْهُ دَائِمًا!!

- إِذَنْ لَقَدِ اسْتَحْقَقْتُمْ غَضَبَ اللهِ بِسَبَبِ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ هَذِهِ، فَانْتَظِرُوا عَذَابَ اللهِ وَأَنَا مَعَكُمْ مُنْتَظِرٌ.

لَقَدْ أَرَادُوا أَنْ يَتَحَدُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُقْدِمُ عَلَى هَذَا التَّحَدِّى فَهُوَ الْخَاسِرُ لَا مَحَالَةَ؛ فَقَدْ حَرَمَهُمُ اللهُ مِنَ الْمَطَرِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ وَعَطِشُوا وَهَلَكَتْ أَرْضُهُمْ مِنَ الْجَفَافِ، وَكَانَ مِنْ عَادَاتِهِمْ إِذَا أَصَابَهُمْ أَمْرٌ كَهَذَا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى مَكَّةَ؛ لِيَسْأَلُوا اللهَ هُنَاكَ أَنْ يُفَرِّجَ شِدَّتَهُمْ، فَاخْتَارَتْ قَبِيلَةُ عَادٍ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهَا وَأَرْسَلَتْهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ رَأَى الَّذِى دَعَا بِنُزُولِ الْمَطَرِ فِى السَّمَاءِ ثَلَاثَ سَحَابَاتٍ: بَيْضَاءَ وَحَمْرَاءَ وَسَوْدَاءَ، وَسَمِعَ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَخْتَارَ سَحَابَةً مِنْهَا، فَظَنَّ أَنَّ السَّحَابَةَ السَّوْدَاءَ قَدِ اسْوَدَّتْ مِنْ شِدَّةِ امْتِلَائِهَا بِالْمَاءِ فَاخْتَارَهَا، فَسَمِعَ صَوْتًا يُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ قَدِ اخْتَارَ الْعَذَابَ الَّذِى سَيُهْلِكُهُمْ.

وَلَمَّا وَصَلَتِ السَّحَابَةُ السَّوْدَاءُ إِلَى سَمَاءِ قَوْمِ عَادٍ فَرِحُوا بِهَا، وَظَنُّوا أَنَّ بِهَا الْمَاءَ الْغَزِيرَ الَّذِى سَيَرْوِى أَوْدِيَتَهُمْ. وَيُقَالُ: إِنَّ امْرَأَةً مِنْهُمْ كَانَ بَصَرُهَا قَوِيًّا جِدًّا نَظَرَتْ إِلَى السَّحَابَةِ ثُمَّ صَرَخَتْ وَسَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا! فَلَمَّا أَفَاقَتْ سَأَلَهَا النَّاسُ:

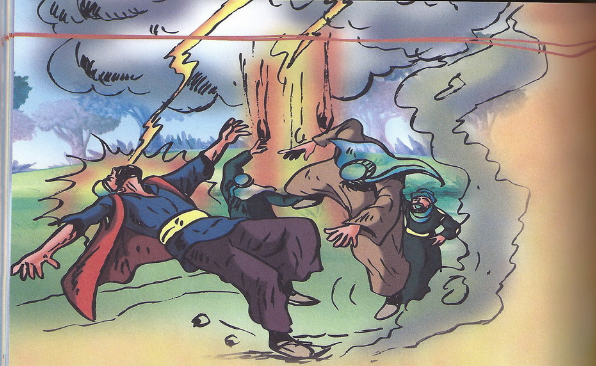
- مَاذَا رَأَيْتِ فِى السَّحَابَةِ؟

قَالَتْ:

- رَأَيْتُ رِيحًا فِيهَا شُهُبٌ مِنَ النَّارِ يَجُرُّهَا رِجَالٌ.

ثُمَّ بَدَأَتِ الرِّيَاحُ الْعَاتِيَةُ تَنْطَلِقُ مِنَ السَّحَابَةِ، وَكَانَتِ الرِّيَاحُ أَشَدَّ بُرُودَةً مِنَ الثَّلْجِ، وَكَانَتْ رِيَاحًا مُدَمِّرَةً مَأْمُورَةً بِتَدْمِيرِ كُلِّ مَا تُقَابِلُهُ، فَهَبَّتْ عَلَى الأَصْنَامِ وَفَتَّتَتْهَا، وَحَوَّلَتْ قُصُورَ عَادٍ الْفَخْمَةَ إِلَى رُكَامٍ





مِنْ تُرابٍ، أَمَّا الْكُفَّارُ فَقَدْ طَارَدَتْهُمُ الرِّيَاحُ وَدَخَلَتْ وَرَاءَهُمُ الْبُيُوتَ وَالْكُهُوفَ الَّتِى اخْتَبَئُوا فِيهَا، فَحَمَلَتْهُمْ وَأَخْرَجَتْهُمْ وَرَفَعَتْهُمْ فِى الْهَوَاءِ، ثُمَّ أَسْقَطَتْهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَكُسِرَتْ وَانْفَصَلَتْ عَنْ أَجْسَادِهِمْ!! فَصَارَ مَنْظَرُهُمْ كَالنَّخْلِ الْمَخْلُوعِ مِنْ جُذُورِهِ وَالَّذِى لَا رَأْسَ لَهُ.

وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ الْعَذَابُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ بِلَيْلِهَا وَنَهَارِهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَهَارِ يَوْمٍ ثَامِنٍ.. اسْتَمَرَّ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهَا أَحَدٌ مِنَ الْكَافِرِينَ. أَمَّا هُودٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فَقَدْ نَجَّاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَحَمَى الْمَكَانَ الَّذِى مَكَثُوا فِيهِ حَتَّى انْتِهَاءِ الرِّيَاحِ.

وَهَكَذَا قُضِىَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَتَحَدُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ. وَكَمْ فِى قِصَّتِهِمْ مِنْ عِظَةٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِهَا قَوْمُ صَالِحٍ!!

صَالِحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَالِحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاحِدًا مِنْ قَوْمِ ثَمُودَ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ مِنطَقَةً تُسَمَّى الْحِجْرَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَتَبُوكَ، وَقَدْ عَاشُوا بَعْدَ هَلَاكِ عَادٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا مِمَّا حَدَثَ لَهُمْ، بَلِ ارْتَكَبُوا نَفْسَ جَرِيمَتِهِمْ وَكَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، فَقَالُوا لَهُ:

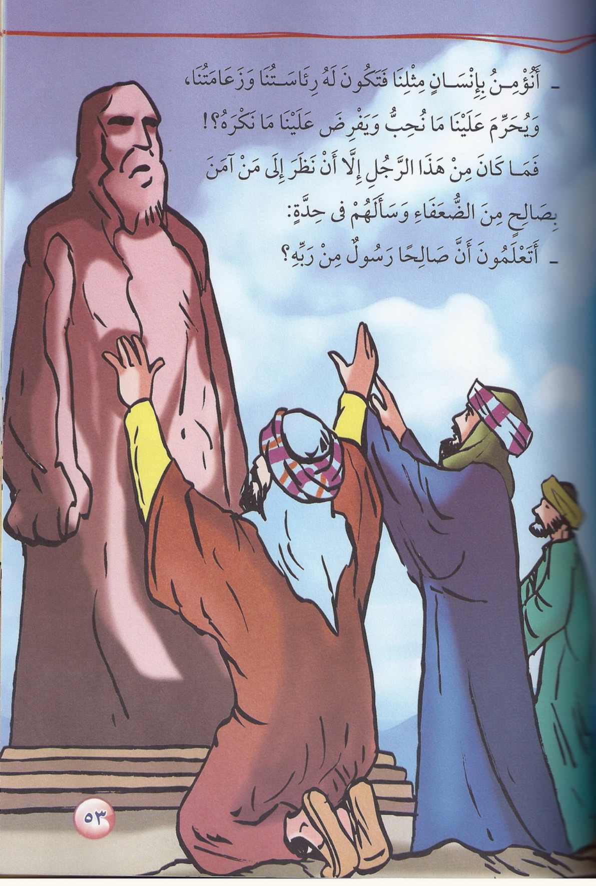
- أَأَنْتَ الَّذِى تَدْعُونَا لأَنْ نَتْرُكَ مَا عَبَدَهُ آبَاؤُنَا يَا صَالِحُ؟ لَقَدْ كُنَّا نَظُنُّكَ عَاقِلًا حَكِيمًا قَبْلَ أَنْ تَدْعُونَا لِذَلِكَ.

وَبِحَنَانِ النَّبِيِّ الْخَائِفِ عَلَى قَوْمِهِ يَرُدُّ صَالِحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- وَمَا رَأْيُكُمْ إِذَا كَانَ مَا أَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الْحَقَّ؟ فَهَلْ تَحْمُونَنِى مِنْ عِقَابِ اللهِ إِنْ تَخَلَّيْتُ عَنْ دَعْوَتِكُمْ إِلَيْهِ وَهِىَ وَاجِبِى وَمُهِمَّتِى؟

ثُمَّ حَاوَلَ صَالِحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُرَقِّقَ قُلُوبَهُمْ، فَذَكَّرَهُمْ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ لَنْ يَعِيشُوا إِلَى الأَبَدِ فِى الدُّنْيَا آمِنِينَ مُتَمَتِّعِينَ بِالنِّعَمِ، بَلْ هُنَاكَ آخِرَةٌ وَحِسَابٌ وَنَارٌ وَجَنَّةٌ.

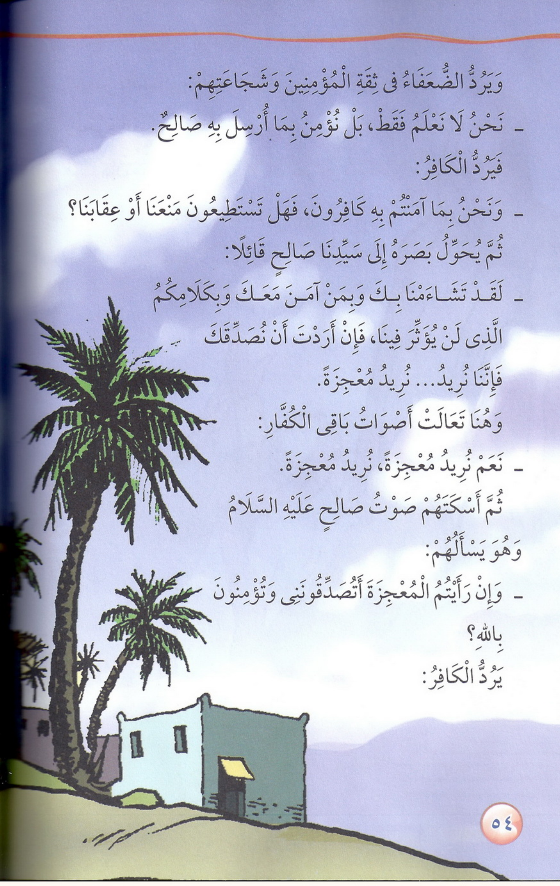
وَبَدَأَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْتَمِعِينَ إِلَى صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَأَثَّرُ بِكَلَامِهِ وَلَكِنَّهُ عَادَ لِيَقُولَ لِنَفْسِهِ:



- أَنُؤْمِنُ بِإِنْسَانٍ مِثْلِنَا فَتَكُونَ لَهُ رِئَاسَتُنَا وَزَعَامَتُنَا، وَيُحَرِّمَ عَلَيْنَا مَا نُحِبُّ وَيَفْرِضَ عَلَيْنَا مَا نَكْرَهُ؟!

فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ آمَنَ بِصَالِحٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَسَأَلَهُمْ فِي حِدَّةٍ:

- أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا رَسُولٌ مِنْ رَبِّهِ؟



وَيَرُدُّ الضُّعَفَاءُ فِى ثِقَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَجَاعَتِهِمْ:

ـ نَحْنُ لَا نَعْلَمُ فَقَطْ، بَلْ نُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلَ بِهِ صَالِحٌ.

فَيَرُدُّ الْكَافِرُ:

ـ وَنَحْنُ بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُونَ مَنْعَنَا أَوْ عِقَابَنَا؟

ثُمَّ يُحَوِّلُ بَصَرَهُ إِلَى سَيِّدِنَا صَالِحٍ قَائِلًا:

ـ لَقَدْ تَشَاءَمْنَا بِكَ وَبِمَنْ آمَنَ مَعَكَ وَبِكَلَامِكُمُ الَّذِى لَنْ يُؤَثِّرَ فِينَا، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نُصَدِّقَكَ فَإِنَّنَا نُرِيدُ... نُرِيدُ مُعْجِزَةً.

وَهُنَا تَعَالَتْ أَصْوَاتُ بَاقِى الْكُفَّارِ:

ـ نَعَمْ نُرِيدُ مُعْجِزَةً، نُرِيدُ مُعْجِزَةً.

ثُمَّ أَسْكَتَهُمْ صَوْتُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَسْأَلُهُمْ:

ـ وَإِنْ رَأَيْتُمُ الْمُعْجِزَةَ أَتُصَدِّقُونَنِى وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ؟

يَرُدُّ الْكَافِرُ:

- إِنْ حَدَثَ ذَلِكَ نُؤْمِنْ سَاعَتَهَا، وَلَكِنْ أَتَعَلَّمُ أَوَّلًا مَاذَا نُرِيدُ؟

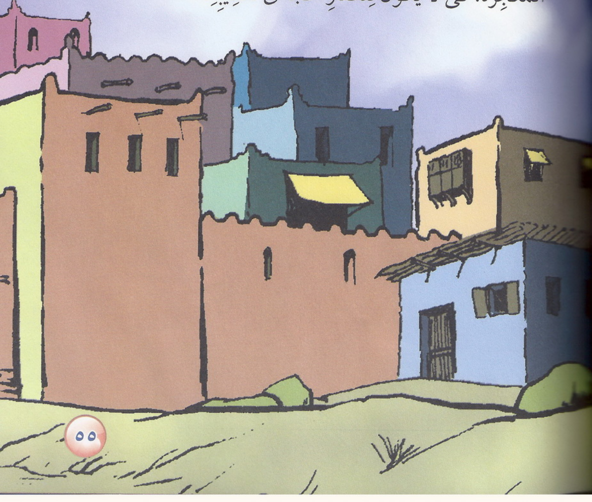
وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى صَخْرَةٍ أَمَامَهُ وَقَالَ:

- نُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نَاقَةٌ ذَاتُ صِفَاتٍ مُعَيَّنَةٍ فَتَكُونَ عُشَرَاءَ و... و...

وَبَعْدَ أَنِ اسْتَمَعَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى طَلَبِهِمْ رَدَّ فِي هُدُوءٍ:

- إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَانْصَرَفَ إِلَى مُصَلَّاهُ، وَأَخَذَ يُصَلِّي وَيَدْعُو اللهَ أَنْ يُحَقِّقَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةَ؛ كَيْ لَا يَكُونَ لِلْكُفَّارِ حُجَّةٌ فِي تَكْذِيبِهِ.



النَّاقَةُ الْمُعْجِزَةُ

مِنْ قَلْبِ الصَّخْرَةِ الصُّلْبَةِ الْمَيِّتَةِ خَرَجَتِ النَّاقَةُ الْحَيَّةُ، بَلْ كَانَتْ تَحْمِلُ فى بَطْنِهَا جَنِينًا اقْتَرَبَتْ وِلَادَتُهُ. فَآمَنَ بَعْضُ قَوْمِ ثَمُودَ بِرِسَالَةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَّا أَكْثَرُهُمْ فَقَدْ فَضَّلُوا نَارَ جَهَنَّمَ بِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ. وَوَقَفَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَاطِبُ قَوْمَهُ:

- هَا هِىَ النَّاقَةُ يَا قَوْمِ، مُعْجِزَةٌ مِنَ اللهِ؛ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوهَا تَأْكُلُ مِنْ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَشْرَبُ مِنَ الْبِئْرِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ: سَيَكُونُ لَهَا يَوْمٌ تَشْرَبُ فِيهِ وَحْدَهَا وَلَكُمْ أَنْ تَحْلِبُوا مِنْ لَبَنِهَا مَا يَكْفِيكُمْ، وَسَيَكُونُ لَكُمْ يَوْمٌ تَشْرَبُونَ فِيهِ وَلَا تَشْرَبُ هِىَ. وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْذُوهَا بِأَىِّ شَكْلٍ فَيُصِيبَكُمْ مِنَ اللهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.





وَعَاشَتِ النَّاقَةُ وَصَغِيرُهَا الَّذِى وَلَدَتْهُ بَيْنَ قَوْمِ صَالِحٍ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ فِى أَمَانٍ، لَكِنَّ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْكُفَّارَ مِنْ كُبَرَاءِ ثَمُودَ قَرَّرُوا أَنْ يَقْتُلُوا النَّاقَةَ؛ حَتَّى لا يُؤْمِنَ أَحَدٌ بِدَعْوَةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَحَاوَلُوا إِقْنَاعَ بَاقِى الْقَبِيلَةِ بِقَتْلِ النَّاقَةِ، فَاسْتَجَابُوا، فَرَاقَبَهَا الْقَتَلَةُ حَتَّى وَجَدُوهَا رَاجِعَةً مِنَ الْبِئْرِ، فَرَمَاهَا أَحَدُهُمْ بِسَهْمٍ فِى سَاقِهَا، ثُمَّ ضَرَبَهَا آخَرُ بِالسَّيْفِ، فَسَقَطَتْ عَلَى الأَرْضِ.

وَعِنْدَمَا عَلِمَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتْلِ النَّاقَةِ، غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ لِقَوْمِهِ:

- أَلَمْ أُحَذِّرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ إِنْ آذَيْتُمُ النَّاقَةَ؟

فَرَدُّوا فِى اسْتِهَانَةٍ:

- هَا قَدْ قَتَلْنَاهَا فَأَيْنَ الْعَذَابُ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِى حَسْمٍ:

- انْتَظِرُوهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

وَفِى صَبَاحِ أَوَّلِ يَوْمٍ بَعْدَ الْيَوْمِ الَّذِى قَتَلُوا فِيهِ النَّاقَةَ كَانَ كُلُّ مَنْ يَرَى غَيْرَهُ أَوْ يَرَى نَفْسَهُ فِى الْمِرْآةِ يَصْرُخُ؛ فَقَدْ أَصْبَحَتْ وُجُوهُهُمْ جَمِيعًا مُصْفَرَّةً، وَفِى الْيَوْمِ الثَّانِى احْمَرَّتْ وُجُوهُهُمْ، وَفِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ اسْوَدَّتِ. فَلَمَّا بَدَأَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ جَلَسُوا يَنْتَظِرُونَ الْعَذَابَ!!

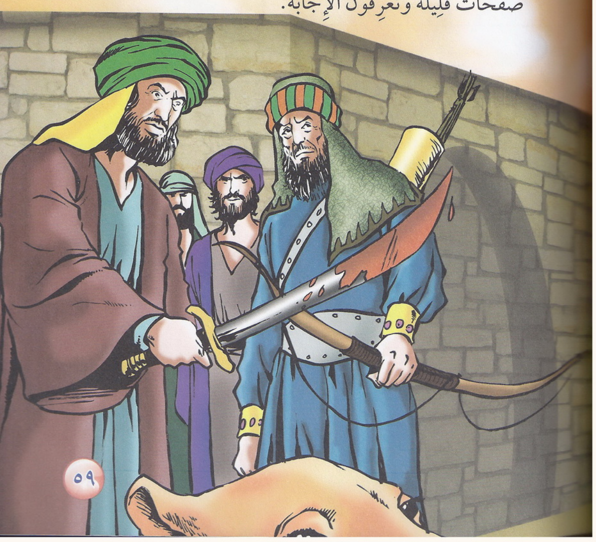
فَمَا إِنْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ حَتَّى جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِهِمْ وَرَجْفَةٌ مِنْ تَحْتِهِمْ، وَكَلِمَةُ صَيْحَةٍ تَعْنِى الصَّوْتَ الْعَالِىَ الْقَوِىَّ الَّذِى لا يَحْتَمِلُهُ أَىُّ مَخْلُوقٍ. وَبَعْضُ مُفَسِّرِى الْقُرْآنِ يَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ صَيْحَةَ الْمَلَكِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّ صَيْحَتَهُ كَانَتِ السَّبَبَ فِى الرَّجْفَةِ الَّتِى أَصَابَتِ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِمْ. وَكُلُّ هَذَا الْعَذَابِ مِنْ أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلِهِمُ اقْتَلَعَ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، فَامْتَلَأَتْ بُيُوتُهُمْ

بِجُثَثِهِمُ الْجَامِدَةِ السَّاقِطَةِ عَلَى وُجُوهِهَا الْمُلْتَصِقَةِ بِالتُّرَابِ.

وَلَمْ يُصِبْ صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ شَىْءٌ مِنَ الْعَذَابِ، بَلْ نَجَّاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ.

وَهَكَذَا، فَإِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ فِى الصَّوْتِ قُوَّةً تَقْتُلُ ثَمُودَ وَأَنْ يَجْعَلَ فِى الرِّيَاحِ قُوَّةً تَقْتُلُ عَادًا، وَأَنْ يَجْعَلَ النَّارَ الْمُحْرِقَةَ مَكَانًا مُرِيحًا آمِنًا لِمَنْ بِدَاخِلِهَا، مَتَى حَدَثَ ذَلِكَ. وَمَعَ مَنْ؟

صَفَحَاتٌ قَلِيلَةٌ وَتَعْرِفُونَ الْإِجَابَةَ.



إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى بَابِلَ بِالْعِرَاقِ وَمُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ مِنْ شُمُوسِ النُّبُوَّةِ؛ فَقَدْ وُلِدَ نَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِى فَتَحَ عَيْنَهُ مُنْذُ صِغَرِهِ عَلَى وَالِدِهِ وَهُوَ يَصْنَعُ الأَصْنَامَ وَيَبِيعُهَا لِلنَّاسِ.

وَعِنْدَمَا كَبِرَ إِبْرَاهِيمُ آتَاهُ اللهُ النُّبُوَّةَ، فَصَارَ وَاجِبًا عَلَيْهِ دَعْوَةُ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ:

- يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ الأَصْنَامَ الَّتِى لَا تَسْمَعُ وَلَا تَرَى وَلَا تُفِيدُكَ شَيْئًا أَوْ تَمْنَعُ عَنْكَ ضَرَرًا؟ يَا أَبَتِ إِنَّ اللهَ قَدْ رَزَقَنِى عِلْمًا وَهِدَايَةً لَمْ يَرْزُقْكَ إِيَّاهُمَا، فَاتَّبِعْنِى أَدُلَّكَ عَلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ. يَا أَبَتِ لَا تُطِعِ الشَّيْطَانَ الَّذِى يَأْمُرُكَ بِالْكُفْرِ بِاللهِ، يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ تَمُوتَ كَافِرًا فَيُعَذِّبَكَ اللهُ وَيُخَلِّدَكَ فى النَّارِ كَمَا سَيُخَلِّدُ الشَّيْطَانَ.

هَكَذَا لَمْ يَنْسَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقَّ وَالِدِهِ عَلَيْهِ فى الاحْتِرَامِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِ أَبِيهِ كَافِرًا، وَلَكِنَّ رِقَّةَ إِبْرَاهِيمَ قُوبِلَتْ بِغِلْظَةِ الْكُفْرِ وَقَسْوَتِهِ؛ فَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَبُوهُ قَائِلًا:

- مَا هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ أَتَرْفُضُ عِبَادَةَ آلِهَتِى الأَصْنَامِ؟ كُفَّ عَمَّا تَقُولُ وَإِلَّا عَذَّبْتُكَ، وَابْتَعِدْ عَنِّى لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَاكَ زَمَنًا طَوِيلًا.

نَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى وَالِدِهِ وَقَدِ امْتَلَأَتْ عَيْنُهُ بِالأَسَفِ وَالْحَسْرَةِ عَلَيْهِ

وَقَالَ لَهُ:

ـ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا وَالِدِى، سَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ، وَقَدْ عَوَّدَنِى رَبِّى أَنْ يَقْبَلَ دُعَائِى.

وَلَكِنَّ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ كَفَّ عَنِ الاسْتِغْفَارِ لأَبِيهِ عِنْدَمَا رَأَى إِصْرَارَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَأَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ أَبَدًا، أَوْ عِنْدَمَا مَاتَ أَبُوهُ بِالْفِعْلِ كَافِرًا؛ إِذْ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِمَنْ مَاتَ كَافِرًا.

وَلَمْ تَكُنْ مُقَابَلَةُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ لِدَعْوَتِهِ أَفْضَلَ مِنْ مُقَابَلَةِ أَبِيهِ لَهَا؛ فَقَدْ تَمَسَّكُوا بِأَصْنَامِهِمْ تَقْلِيدًا لآبَائِهِمْ كَالأَقْوَامِ الَّتِى سَبَقَتْهُمْ. وَطَالَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَغْلَقُوا أَمَامَهَا قُلُوبَهُمْ وَعُقُولَهُمْ، فَقَرَّرَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُثْبِتَ لَهُمْ ضَلَالَهُمْ بِتَجْرِبَةٍ عَمَلِيَّةٍ، فَانْتَظَرَهُمْ حَتَّى خَرَجُوا جَمِيعًا مِنَ الْمَدِينَةِ لِيَحْتَفِلُوا بِأَحَدِ



أَعْيادِهِمْ، واتَّجهَ إِلَى الْمَعْبَدِ، وَهُناكَ نَظرَ إِلَى الطَّعامِ الَّذِى تركَهُ الْقَوْمُ أَمامَ الأَصْنامِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّها سَتُبارِكُهُ أَثْناءَ غِيابِهِمْ، ثُمَّ نظرَ إِلَى الأَصْنامِ وَسأَلَهُمْ ساخِرًا مِنهُمْ:

ـ أَلا تأْكُلونَ؟ ما لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟!

ثُمَّ انْهالَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْفَأْسِ حَتَّى حطَّمَهُمْ جمِيعًا إِلَّا أَكْبَرَهُمْ؛ فَقَدْ تركَهُ وَعلَّقَ الْفَأْسَ عَلى يَدِهِ.

وَعادَ الْقَوْمُ مِنِ احْتِفالِهِمْ، وَذَهَبُوا إِلَى الْمَعْبَدِ كَىْ يَأْخُذُوا طَعامَهُمْ، وَهُناكَ صاحُوا فى فَزَعٍ:

ـ مَنْ فعَلَ هَذا بِآلِهتِنا؟ إِنَّ مَنْ حطَّمَهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ!

قَالَ بَعْضُهُمْ:

ـ سَمِعْنا فَتًى يَتَحدَّثُ عَنْهُمْ اسْمُهُ إِبْراهِيمُ.



فَأَمَرَ رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ بِاسْتِدْعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِمُحَاكَمَتِهِ أَمَامَ النَّاسِ جَمِيعًا. وَعِنْدَمَا حَضَرَ إِبْرَاهِيمُ سَأَلَهُ نَائِبٌ عَنِ الْكُفَّارِ:

- أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟

فَرَدَّ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ:

- بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.

هُنَا بَدَأَ الْقَوْمُ يُفَكِّرُونَ كَيْفَ أَنَّ الْآلِهَةَ لَمْ تَسْتَطِعْ حِمَايَةَ نَفْسِهَا، حَتَّى كَبِيرَهَا لَمْ يَحْمِهَا، بَلْ إِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ إِخْبَارَهُمْ بِمَنْ حَطَّمَهَا، فَشَعَرُوا بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَمَا عَبَدُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ الْعَاجِزَةَ، وَبَعْدَ أَنْ كَادُوا يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ أَعَادَهُمُ اسْتِكْبَارُهُمْ مِنَ الاعْتِرَافِ بِالْخَطَأِ إِلَى ضَلَالِهِمْ، فَسَأَلُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- كَيْفَ تُرِيدُنَا أَنْ نَسْأَلَ الْأَصْنَامَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَنْطِقُ؟

فَسَأَلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَعَجِّبًا:

- أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ؟ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟

لَمْ يَعُدْ لَدَيْهِمْ مَا يُقَالُ، لَقَدِ انْهَزَمُوا فِي حَرْبِ الْكَلَامِ، وَلَيْسَ أَمَامَهُمْ إِلَّا حَرْبُ الْقُوَّةِ؛ لِذَا صَدَرَتِ الْأَوَامِرُ:

- احْرِقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ.

نَعِيمٌ فى النَّارِ

وَكَأَنَّ الْقَوْمَ سَيَحْرِقُونَ مَدِينَةً بِأَكْمَلِهَا أَخَذُوا يَسْتَعِدُّونَ لِإِحْرَاقِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدِ اسْتَمَرُّوا أَيَّامًا يَجْمَعُونَ كَمِّيَّاتٍ هَائِلَةً مِنَ الْحَطَبِ لِإِشْعَالِ النَّارِ، وَصَنَعُوا آلَةً حَرْبِيَّةً تُسَمَّى الْمَنْجَنِيقَ تُشْبِهُ الْمِدْفَعَ فى وَظِيفَتِهَا، حَيْثُ تَرْمِى بِالْقَذِيفَةِ بَعِيدًا، وَحَفَرُوا حُفْرَةً شَدِيدَةَ الْعُمْقِ وَالِاتِّسَاعِ وَأَشْعَلُوا فِيهَا الْحَطَبَ.

وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِيُشَاهِدُوا تَنْفِيذَ الْعُقُوبَةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَدَأَ الْجُنُودُ يُقَيِّدُونَهُ بِالْحِبَالِ، وَلِسَانُهُ يُتَمْتِمُ بِذِكْرِ اللهِ، وَقَلْبُهُ مُسْتَسْلِمٌ لَهُ، رَاضٍ بِمَا قَدَّرَهُ، وَاثِقٌ مِنْ نَصْرِهِ الْقَرِيبِ، ثُمَّ وَضَعُوهُ فى كِفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ فَأَلْقَتْ بِهِ فى حُفْرَةِ النَّارِ.

أَيَّامًا وَلَيَالِىَ عَدِيدَةٌ قَضَاهَا إِبْرَاهِيمُ فى النَّارِ وَالنَّاسُ حَوْلَهَا يَنْتَظِرُونَ انْطِفَاءَهَا لِيَجِدُوا جُثَّةً مُتَفَحِّمَةً، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْضِى أَجْمَلَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ فى هَذِهِ النَّارِ، وَيَتَنَعَّمُ بِدَاخِلِهَا؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ النَّارَ بِأَنْ تَكُونَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَتَحَوَّلَتْ حَرَارَتُهَا إِلَى بُرُودَةٍ غَيْرِ مُؤْذِيَةٍ، وَلَمْ تَحْرِقِ النَّارُ إِلَّا الْقُيُودَ الَّتِى تَلُفُّ يَدَيْهِ، وَلَمْ تُصِبْ جِلْدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ بِأَىِّ سُوءٍ.

وَأَخِيرًا انْطَفَأَتِ النَّارُ وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّاسِ سَالِمًا تَمَامًا وَكَأَنَّ نَارًا لَمْ تَقْتَرِبْ مِنْهُ، وَتَعَالَتْ صَيْحَاتُ الدَّهْشَةِ، وَلَوْ كَانَ فِى رُءُوسِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عُقُولٌ، لَآمَنُوا بَعْدَ أَنْ رَأَوْا كَيْفَ يَقْدِرُ رَبُّ إِبْرَاهِيمَ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بَشَرٌ، وَكَيْفَ تَعْجِزُ آلِهَتُهُمْ عَمَّا يَسْتَطِيعُهُ أَىُّ مَخْلُوقٍ.



وَكَانَ أَكْبَرَ الَّذِينَ خَلَتْ رُءُوسُهُمْ مِنَ الْعُقُولِ النُّمْرُوذُ مَلِكُ بَابِلَ الَّذِى اغْتَرَّ بِمُلْكِهِ وَجَاهِهِ، وَخَدَعَ بِهِمَا النَّاسَ فَادَّعَى أَنَّهُ هُوَ الإِلَهُ، وَعِنْدَمَا الْتَقَى بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَارَ بَيْنَهُمَا حِوَارٌ حَاوَلَ النُّمْرُوذُ فِيهِ أَنْ يُقْنِعَ مَنْ يَسْمَعُهُ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَاذِبًا، فَسَأَلَهُ النُّمْرُوذُ:

- كَيْفَ تَدْعُو لِعِبَادَةِ إِلَهٍ غَيْرِى وَأَنَا أَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- رَبِّى هُوَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ.

فَأَشَارَ النُّمْرُوذُ إِلَى رَجُلَيْنِ أَمَامَهُ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا، ثُمَّ أَمَرَ السَّيَّافَ بِقَطْعِ رَقَبَةِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَعَفَا عَنِ الرَّجُلِ الآخَرِ وَلَمْ يَقْتُلْهُ، ثُمَّ قَالَ لإِبْرَاهِيمَ:

- انْظُرْ لَقَدْ أَمَتُّ الأَوَّلَ وَأَحْيَيْتُ الثَّانِى فَأَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ.

وَلأَنَّهُ مِنَ الْمَفْهُومِ أَنَّ مَنْ يُحْيِى جَسَدًا مَيِّتًا غَيْرُ مَنْ يَأْمُرُ بِتَرْكِ الْحَىِّ حَيًّا، وَمَنْ يَقْتُلُ بِالسَّيْفِ غَيْرُ مَنْ يَقْبِضُ رُوحَ الإِنْسَانِ مِنْ جَسَدِهِ بِلَا سَيْفٍ أَوْ خِنْجَرٍ، لِذَا لَمْ يُضِعْ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ الْوَقْتَ فِى الرَّدِّ عَلَى هَذِهِ الْكِذْبَةِ، وَإِنَّمَا وَاجَهَ النُّمْرُوذُ بِأَمْرٍ آخَرَ فَقَالَ:

- إِنَّ اللهَ يُطْلِعُ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَطْلِعْهَا أَنْتَ مِنَ الْمَغْرِبِ.

وَهُنا سَكَتَ الْكافِرُ كَأَنَّ لِسانَهُ شُلَّ، وَبَدا عَلَى وَجْهِهِ الْخِزْىُ وَالشُّعُورُ بِالْعَجْزِ، وَهُزِمَ فى الْمُناظَرَةِ، وَلَكِنَّ هَزِيمَةً أَكْبَرَ كانَتْ تَنْتَظِرُهُ، فَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يَأْمُرُهُ بِالإِيمانِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فَرَفَضَ، فَقالَ لَهُ الْمَلَكُ:

- إِذَنِ اجْمَعْ جَيْشَكَ وَأَجْمَعُ جَيْشِى وَنَتَحارَبُ.

وَاجْتَمَعَ جُنُودُ النُّمْرُوذِ فى الْمَيْدانِ، وَفَجْأَةً امْتَلَأَتِ السَّماءُ بِذُبابٍ مِنَ الْبَعُوضِ، فَأَكَلَتْ لُحُومَ الْجُنُودِ وَدِماءَهُمْ، وَدَخَلَتْ بَعُوضَةٌ أَنْفَ النُّمْرُوذِ وَظَلَّتْ تُعَذِّبُهُ سَنَواتٍ طَوِيلَةً، وَكانَ لا يَسْتَرِيحُ إِلَّا إِذا ضُرِبَ رَأْسُهُ بِحَدِيدَةٍ حَتَّى ماتَ.



التَّوْحِيدُ وَقُدْرَةُ اللهِ الْخَالِقِ

كَالأَحْجَارِ الَّتِى لَا تَلِينُ كَانَتْ قُلُوبُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَّرَ أَنْ يَرْحَلَ عَنْهُمْ لِيَدْعُوَ إِلَى اللهِ فِى مَكَانٍ آخَرَ، وَأَخَذَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ الْمُؤْمِنَةَ سَارَةَ وَابْنَ أَخِيهِ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَهَبُوا إِلَى قَوْمٍ لَمْ يَكُونُوا أَفْضَلَ حَالًا مِمَّنْ تَرَكُوهُمْ؛ إِذْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، فَحَاوَلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُرِيَهُمْ ضَلَالَهُمْ بِأَعْيُنِهِمْ، فَانْتَظَرَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى حَلَّ الظَّلَامُ، وَظَهَرَتِ الْكَوَاكِبُ فِى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَحَدِهَا وَهُوَ يَقُولُ لِمَنْ حَوْلَهُ:

- هَذَا رَبِّى.

فَظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ سَيَعْبُدُ الْكَوَاكِبَ مِثْلَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ وَجَدُوهُ بَعْدَ أَنْ سَطَعَتِ الشَّمْسُ فِى الْيَوْمِ التَّالِى وَاخْتَفَى الْكَوْكَبُ مِنَ السَّمَاءِ، وَجَدُوهُ يَقُولُ:

- إِنَّهُ لَيْسَ إِلَهِى؛ فَأَنَا لَا أُحِبُّ إِلَهًا يَخْتَفِى وَيَغِيبُ.

وَفِى اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ أَشَارَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْقَمَرِ الْمُنِيرِ فِى السَّمَاءِ

وَقَالَ:

- هَذَا رَبِّى.

فَلَمَّا غَطَّتِ الشَّمْسُ الْقَمَرَ بِنُورِهَا فِى الصَّبَاحِ، اخْتَفَى كَمَا اخْتَفَى الْكَوْكَبُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- إِنَّنِى أُرِيدُ أَنْ يَدُلَّنِى رَبِّى وَيُرْشِدَنِى إِلَيْهِ، وَإِلَّا أَعِشْ ضَالًّا حَائِرًا.

فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَالَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَيْهَا:

- الشَّمْسُ هِىَ رَبِّى إِذَنْ؛ فَهِىَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ.

وَلَكِنَّهَا اخْتَفَتْ بَعْدَ حُلُولِ اللَّيْلِ، فَقَالَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ لِلْقَوْمِ:

- يَا قَوْمِ إِنَّنِى أَكْفُرُ بِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ كَوَاكِبَ وَأَقْمَارٍ، وَأَعْبُدُ اللهَ الَّذِى خَلَقَهَا وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

وَلَيْتَ الْقَوْمَ لَمْ يُغَالِطُوا أَنْفُسَهُمْ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا أَنَّ آلِهَتَهُمْ مُجَرَّدُ



مَخْلُوقَاتٍ يُظْهِرُهَا اللهُ مَتَى شَاءَ وَيُخْفِيهَا مَتَى شَاءَ، وَلَكِنَّهُمْ أَخَذُوا يُجَادِلُونَ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ فِى تَوْحِيدِ اللهِ، وَيُخَوِّفُونَهُ مِنْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ سَتُؤْذِيهِ لأَنَّهُ كَفَرَ بِهَا، فَرَدَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- لَقَدْ هَدَانِى اللهُ إِلَيْهِ فَلَا تُجَادِلُونِى فِيهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمُ الأَحَقُّ بِالْخَوْفِ؛ لأَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ، وَأَنَّ الأَمْنَ وَالاطْمِئْنَانَ مِنْ نَصِيبِى أَنَا، وَأَنَا لَا أَخَافُ آلِهَتَكُمْ؛ فَلَنْ يُصِيبَنِى شَىْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ.

وَالْآنَ دَعُونَا نَعُدْ إِلَى كَلِمَةٍ وَاجَهَ بِهَا سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ النَّمْرُوذَ وَهِىَ: (رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ) لَمْ يَشُكَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَحْظَةً فِى ذَلِكَ وَلَا فِى قُدْرَةِ اللهِ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ، وَبِهَذَا الْإِيمَانِ الرَّاسِخِ بِقُدْرَةِ اللهِ دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ:

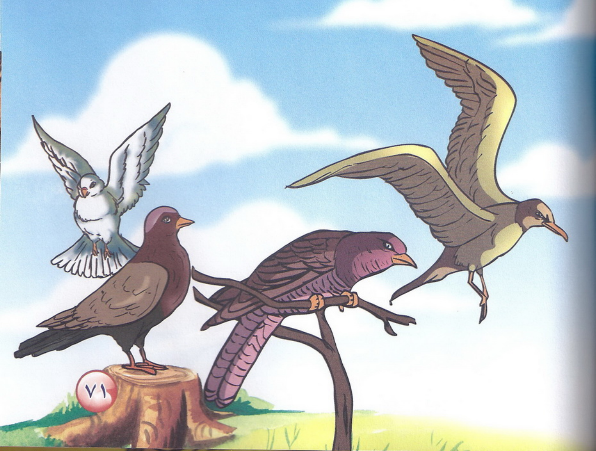
- رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى.

لَاحِظُوا: إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: رَبِّ هَلْ تُحْيِى الْمَوْتَى؟ فَهُوَ مُسَلِّمٌ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَمَنَّى أَنْ يَرَى بِعَيْنِهِ مَا سَلَّمَ بِهِ قَلْبُهُ؛ لِيَزْدَادَ إِيمَانًا وَيَطْمَئِنَّ بِأَنَّهُ خَلِيلُ اللهِ وَبِأَنَّهُ مُسْتَجَابُ الدُّعَاءِ.

وَاسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَائِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطُّيُورِ وَيُقَطِّعَهُنَّ أَجْزَاءً، ثُمَّ يُفَرِّقَ الأَجْزَاءَ عَلَى عِدَّةِ جِبَالٍ، ثُمَّ يُنَادِى عَلَى الطُّيُورِ، وَبَعْدَ أَنْ وَضَعَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ الأَجْزَاءَ الْمُقَطَّعَةَ عَلَى جِبَالٍ مُخْتَلِفَةٍ نَادَى

الطُّيُورَ أَنْ تَأْتِيَهُ بِاسْمِ اللهِ وَبِإِذْنِهِ، فَرَأَى رِيشًا مِنْ فَوْقِ هَذَا الْجَبَلِ يَطِيرُ لِيَثْبُتَ فِى جِسْمٍ مِنْ فَوْقِ جَبَلٍ آخَرَ، وَرَأَى دَمًا مِنْ هُنَا يَطِيرُ لِيَجْرِىَ فِى عُرُوقٍ مِنْ هُنَاكَ، وَكَأَنَّ جِسْمَ كُلِّ طَائِرٍ يَلْتَحِمُ بِرَأْسِهِ لَا بِرَأْسِ غَيْرِهِ، وَتَرَكَّبَتِ الطُّيُورُ وَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ بِإِذْنِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

وَمِمَّا لَا يُنْسَى ذِكْرُهُ عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، وَهَذِهِ الْخُلَّةُ هِىَ غَايَةُ الْمَحَبَّةِ، وَهِىَ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا مَنَحَهَا اللهُ لَهُ وَلِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كَمَا يُسَمَّى سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ (أَبَا الأَنْبِيَاءِ)؛ فَكُلُّ نَبِىٍّ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَنَسْلِهِ.



إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

هُـوَ أَوَّلُ نَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّةِ سَـيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّـلَامُ؛ فَهُوَ ابْنُهُ مِنْ صُلْبِـهِ. وَأُمُّ إِسْـمَاعِيلَ هِىَ هَاجَرُ كَانَتْ جَارِيَةً أَهْدَتْهَا سَـارَةُ زَوْجَةُ إِبْرَاهِيـمَ لَـهُ؛ كَىْ يَتَزَوَّجَهَا لَعَـلَّ اللهُ يَرْزُقُهُ مِنْهَا ابْنًا بَعْـدَ أَنْ حُرِمَ هُوَ وَسَـارَةُ مِنَ الأَبْنَاءِ زَمَنًا طَوِيـلًا. وَرَزَقَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْـمَاعِيلَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمَوْلُودَ وَأُمَّهُ هَاجَرَ إِلَى مَكَّةَ.

وَعِنْدَمَـا وَصَلَتْ هَاجَـرُ إِلَى مَكَّةَ أَخَـذَتْ تَنْظُرُ حَوْلَهَـا فَلَمْ تَجِدْ إِنْسَـانًا وَلَا حَيَوَانًـا وَلَا زَرْعًا وَلَا مَاءً، وَرَأَتْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّـلَامُ يَتْرُكُ بَعْضَ التَّمْرِ وَالْمَاءِ وَيَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ، فَسَأَلَتْهُ:

- أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا فِى هَذَا الْمَكَانِ الْخَالِى يَا إِبْرَاهِيمُ؟

وَكَرَّرَتْ سُؤَالَهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ دُونَ إِجَابَةٍ، وَأَخِيرًا سَأَلَتْهُ:

- آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟

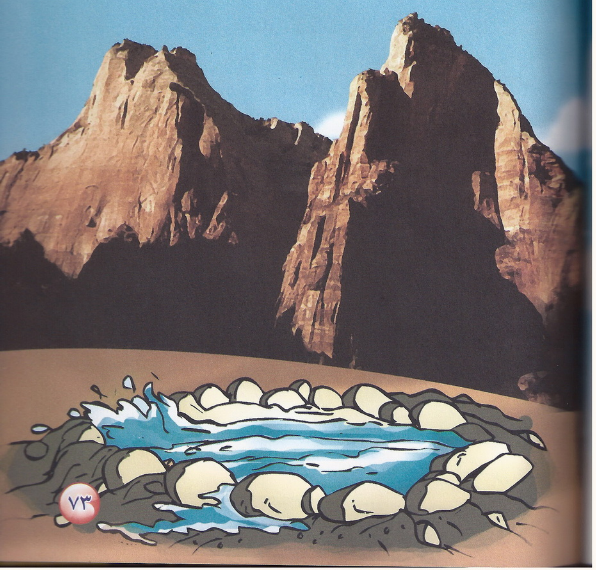
- نَعَمْ.

- إِذَنْ لَنْ يُضَيِّعَنَا.

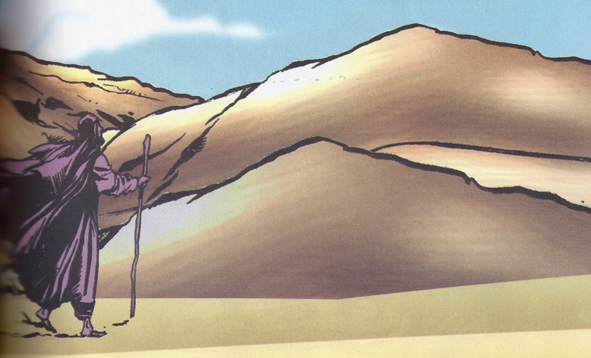
وَاطْمَـأَنَّ قَلْـبُ هَاجَرَ؛ لأَنَّهَا وَاثِقَـةٌ مِنْ أَنَّ اللهَ يَرْعَـى مَنْ يُطِيعُهُ، وَأَنَّ تَنْفِيذَ أَمْرِ اللهِ لَا تَكُونُ نَتِيجَتُهُ شَرًّا أَبَدًا.

وَبدَأَتْ هَاجَرُ تَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِى مَعَهَا حَتَّى نَفِدَ، فَعَطِشَتْ، وَلِهَذَا لَمْ تَجِدْ فِى صَدْرِهَا لَبَنًا تُرْضِعُ بِهِ صَغِيرَهَا إِسْمَاعِيلَ فَجَاعَ هُوَ الآخَرُ، وَبَدَأَ يَبْكِى مِنَ الْجُوعِ حَتَّى اشْتَدَّ صُرَاخُهُ، وَلَمْ تَحْتَمِلْ هَاجَرُ ذَلِكَ، فَقَامَتْ تَبْحَثُ عَنْ أَىِّ إِنْسَانٍ عَلَّهَا تَجِدُ مَعَهُ مَاءً.

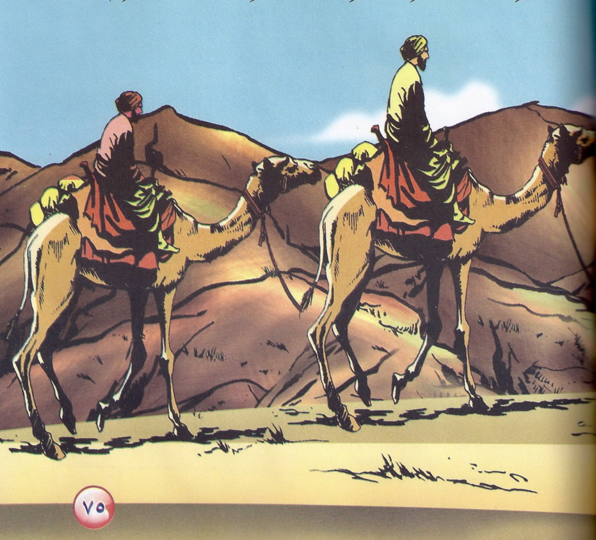
هِىَ تَعْرِفُ مِنْ قَبْلُ أَنَّهَا وَحْدَهَا فِى هَذَا الْمَكَانِ، وَلَكِنَّ الأَمَلَ فِى رَحْمَةِ اللهِ حَرَّكَهَا لِتَبْحَثَ، فَصَعِدَتْ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا وَنَظَرَتْ



مِنْ فَوْقِهِ إِلَى الأَرْضِ حَوْلَهُ فَلَمْ تَجِدْ أَحَدًا، ثُمَّ نَزَلَتْ مُتَوَجِّهَةً إِلَى جَبَلِ الْمَرْوَةِ الْقَرِيبِ مِنَ الصَّفَا فَنَظَرَتْ مِنْ فَوْقِهِ وَلَمْ تَجِدْ أَحَدًا، وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ تَبْحَثُ وَتَسْعَى سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَا أَحَدَ - وَقَدْ سَارَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ بَعْدَ ذَلِكَ - وَتَعِبَتْ هَاجَرُ وَعَادَتْ إِلَى طِفْلِهَا بَاكِيَةً، فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَى هَذِهِ الأُمُومَةِ الْمُعَذَّبَةِ الْمَلَكَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَضَرَبَ الأَرْضَ بِجَنَاحِهِ أَوْ بِعَقِبِهِ عِنْدَ مَكَانِ قَدَمِ إِسْمَاعِيلَ، فَانْفَجَرَ الْمَاءُ، فَأَخَذَتْ هَاجَرُ تَمْلأُ قِرْبَتَهَا، وَتَحُوطُ الْمَاءَ بِكَفَّيْهَا تَخَافُ أَنْ يَنْتَهِيَ،



وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّهَا بِئْرُ زَمْزَمَ الْمُبَارَكَةُ الَّتِى مَا زَالَتْ تَرْوِى النَّاسَ إِلَى الْيَوْمِ. وَهَكَذَا ارْتَوَتْ هَاجَرُ وَوَلِيدُهَا وَأَرْضَعَتْهُ، ثُمَّ قَدِمَتْ عَلَى هَاجَرَ قَبِيلَةٌ مُهَاجِرَةٌ مِنْ مَكَانِهَا الأَصْلِىِّ، وَأَرَادَ أَهْلُهَا أَنْ يَسْتَقِرُّوا بِجِوَارِ الْمَاءِ وَبِالتَّالِى بِجِوَارِ هَاجَرَ، فَاسْتَأْذَنُوهَا فِى الْعَيْشِ بِجِوَارِهَا، فَأَذِنَتْ. وَهَكَذَا وَجَدَتْ هَاجَرُ مَنْ يُؤْنِسُهَا وَتَعَلَّمَ إِسْمَاعِيلُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَعِنْدَمَا كَبِرَ زَوَّجُوهُ مِنْ بَنَاتِهِمْ.



لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ

كَانَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَزُورُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْهِمَا، وَذَاتَ مَرَّةٍ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَصْبَحَ شَابًّا فَتِيًّا يَسْعَى وَيَعْمَلُ أَعْمَالَ الرِّجَالِ، صَارَحَهُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ بِمَا فِى نَفْسِهِ فَقَالَ:

- يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟

يَذْبَحُهُ!! إِنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْىٌ، أَىْ أَنَّ النَّبِىَّ إِذَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَمْرٍ مَا فِى الرُّؤْيَا فَكَأَنَّهُ قَدْ أُمِرَ بِهِ وَهُوَ مُسْتَيْقِظٌ، فَذَبْحُ إِسْمَاعِيلَ - إِذَنْ - أَمْرٌ مِنَ اللهِ، وَسَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ لَا يُخْبِرُ ابْنَهُ بِذَلِكَ لِيَسْتَأْذِنَهُ، وَإِنَّمَا لِيُعْلِمَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ، فَيَصْبِرُ وَيَسْتَسْلِمُ لِلذَّبْحِ وَهُوَ يَنْوِى طَاعَةَ اللهِ فَيَنَالُ الثَّوَابَ وَالْأَجْرَ، وَكَمَا تَوَقَّعَ إِبْرَاهِيمُ مِنِ ابْنِهِ رَدَّ عَلَيْهِ الِابْنُ عَلَى الْفَوْرِ:

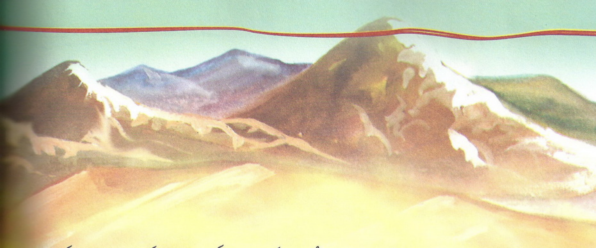
- يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا.

أَهَكَذَا بِلَا تَرَدُّدٍ؟ نَعَمْ؛ لِأَنَّهُ (أَمْرٌ مِنَ اللهِ) هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَدْفَعُ الْمُؤْمِنَ لِلتَّضْحِيَةِ بِأَىِّ شَىْءٍ - وَلَوْ كَانَتْ نَفْسَهُ - مَا دَامَ فِى ذَلِكَ رِضَا اللهِ.



وَبِالْفِعْلِ أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ سِكِّينًا وَاسْتَسْلَمَ هُوَ وَابْنُهُ للهِ، وَوَضَعَ إِسْمَاعِيلَ فِى وَضْعِ الذَّبْحِ، ثُمَّ هَوَى بِالسِّكِّينِ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَذْبَحْ، كَالنَّارِ الَّتِى لَمْ تُحْرِقْ هَا هِىَ ذِى السِّكِّينُ لَا تَقْطَعُ.

ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى كَبْشًا عَظِيمًا لِيُذْبَحَ فِدَاءً لِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ قَدْ نَجَحَ فِى هَذَا الاخْتِبَارِ الشَّدِيدِ الْوَاضِحِ، وَبَادَرَ بِالتَّضْحِيَةِ بِابْنِهِ طَاعَةً للهِ.



وَكَمَا اشْتَرَكَ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ مَعَ أَبِيهِ فى الثَّوَابِ وَالشَّرَفِ فى مَسْأَلَةِ الذَّبْحِ، أَمَرَ اللهُ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَبْنِىَ هُوَ وَسَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ بَيْتًا مُبَارَكًا للهِ تَعَالَى يَكُونُ هُدًى لِلنَّاسِ وَمَكَانًا لِلتَّعَبُّدِ، إِنَّهُ الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ، وَأَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِى يَبْنِى فِيهِ الْكَعْبَةَ.

وَبَدَأَ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ يَأْتِى بِالْحِجَارَةِ وَسَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ يَبْنِى حَتَّى ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ وَصَارَ أَطْوَلَ مِنْ قَامَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَقَفَ عَلَى حَجَرٍ؛ كَىْ يَسْتَطِيعَ إِكْمَالَ الْبِنَاءِ وَغَاصَتْ قَدَمُهُ الشَّرِيفَةُ فى الْحَجَرِ حَتَّى تَرَكَتْ فِيهِ أَثَرًا عَلَى شَكْلِ الْقَدَمِ بِالضَّبْطِ، وَهَذَا الْحَجَرُ هُوَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْجُودُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَعْبَةِ.

وَكَانَ لِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخٌ آخَرُ نَبِىٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ هُوَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِى بَشَّرَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمَّهُ سَارَةَ، فَحَمَلَتْ سَارَةُ وَأَنْجَبَتْ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ أَنْ عَاشَتْ عَشَرَاتِ السِّنِينَ مَعَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ لَا تَلِدُ حَتَّى كَبِرَا

فى السِّـنِّ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ اللهِ وَقُدْرَتُهُ الَّتِى لَا يَسْـتَعْصِى عَلَيْهَا شَىْءٌ
جَعَلَتْهَا تُنْجِبُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَجُوزًا عَقِيمًا.

لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَا زِلْنَا تَحْتَ ظِلَالِ شَجَرَةِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ الْمُبَارَكَةِ، فَلُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ ابْنُ أَخِيهِ، وَقَدْ كَلَّفَهُ اللهُ بِدَعْوَةِ قَوْمٍ يَسْكُنُونَ أَرْضًا تُسَمَّى سَدُومَ، وَكَانُوا أَسْوَأَ مِنْ كُلِّ الأَقْوَامِ الَّتِي سَبَقَتْهُمْ، وَقَدِ اشْتَهَرُوا بِقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى الْمُسَافِرِينَ، وَبِأَنَّ رِجَالَهُمْ شَدِيدُو الانْحِرَافِ إِذْ لَمْ يَكُونُوا يُحِبُّونَ التَّزَوُّجَ مِنَ النِّسَاءِ، بَلْ يُفَضِّلُونَ الرِّجَالَ عَلَيْهِنَّ، وَهَذِهِ الْفَاحِشَةُ شَنِيعَةٌ يَأْبَاهَا الدِّينُ وَالْفِطْرَةُ.

وَكَانَتْ دَعْوَةُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ وَيَتُوبُوا مِنْ فَاحِشَتِهِمُ الَّتِي لَمْ يَرْتَكِبْهَا قَوْمٌ قَبْلَهُمْ، فَمَا كَانَ رَدُّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا:

- اطْرُدُوا لُوطًا وَأَهْلَهُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ؛ لأَنَّهُمْ يَتَطَهَّرُونَ وَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يَتَلَوَّثُوا مَعَنَا بِالْمَعَاصِي وَالرَّذَائِلِ!

تَوَجَّهَ الْمَلَائِكَةُ الثَّلَاثَةُ الْكِرَامُ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ إِلَى الْبَلْدَةِ الَّتِي بِهَا سَيِّدُنَا لُوطٌ، وَكَانُوا عَلَى هَيْئَةِ شُبَّانٍ حِسَانٍ، فَلَمَّا



رَآهُمْ لُوطٌ حَسِبَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَالَ فِى نَفْسِهِ: لَوْ رَأَى قَوْمِى شَبَابَهُمْ وَجَمَالَهُمْ مَا تَرَكُوهُمْ، بَلْ أَرَادُوهُمْ مِنْ أَجْلِ الْفَاحِشَةِ.

فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَنْزِلُوا فِى بَيْتِهِ ضُيُوفًا، شَعَرَ بِهَمٍّ شَدِيدٍ وَقَالَ فِى نَفْسِهِ: يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ عَصِيبٍ صَعْبٍ، كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْمِيَهُمْ مِنْ قَوْمِى؟

وَدَخَلَ لُوطٌ بَيْتَهُ مَعَ ضُيُوفِهِ، وَيُقَالُ إِنَّ قَوْمَهُ لَمْ يَكُونُوا قَدْ رَأَوْهُمْ بَعْدُ، وَلَكِنَّ امْرَأَتَهُ الْكَافِرَةَ خَرَجَتْ تُخْبِرُ قَوْمَهَا بِأَمْرِهِمْ، عِنْدَئِذٍ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ الْخُبَثَاءُ يَطْرُقُونَ بَابَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ ضُيُوفَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ لُوطٌ مِنْ دَاخِلِ بَيْتِهِ:



- اذْهَبُوا إِلَى زَوْجَاتِكُمُ اللَّاتِى أَحَلَّهُنَّ اللهُ لَكُمْ، فَهَذَا أَطْهَرُ لَكُمْ، وَلَا تَفْضَحُونِى فِى ضُيُوفِى وَاتَّقُوا اللهَ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ؟

فَرَدُّوا عَلَيْهِ فِى وَقَاحَةٍ قَائِلِينَ:

- لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّنَا لَا نُحِبُّ النِّسَاءَ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ.

هَذَا الرَّدُّ جَعَلَ لُوطًا يَتَأَلَّمُ أَشَدَّ الأَلَمِ حَتَّى قَالَ:

- تَمَنَّيْتُ لَوْ كَانَ لِى قُوَّةٌ أَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَيْكُمْ، أَوْ كَانَ لِى مَنْ يَحْمِينِى مِنْكُمْ وَيَنْصُرُنِى عَلَيْكُمْ.

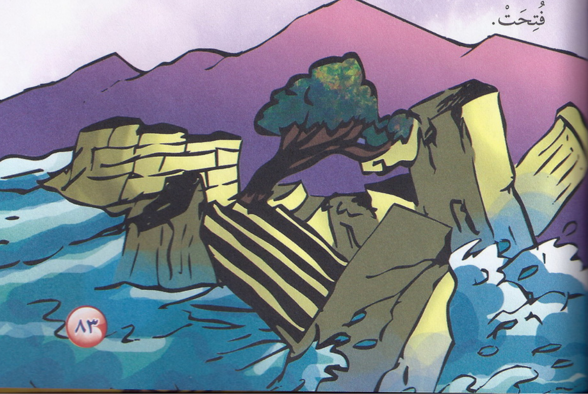
وَعِنْدَمَا اقْتَحَمَ رِجَالُ قَوْمِهِ بَيْتَهُ ضَرَبَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وُجُوهَهُمْ بِطَرَفِ جَنَاحِهِ فَأَعْمَاهُمْ، فَانْصَرَفُوا بِلَا عُيُونٍ، وَأَخْبَرَتِ الْمَلَائِكَةُ لُوطًا بِأَنَّ الْعَذَابَ سَيَحِلُّ عَلَى قَوْمِهِ فِى الصَّبَاحِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْقَرْيَةَ هُوَ وَأَهْلُهُ بِاللَّيْلِ - وَلَمْ يَكُنْ قَدْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا ابْنَتَاهُ - وَأَمَرُوهُ أَلَّا يَلْتَفِتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَرَاءَهُ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الْعَذَابِ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ امْرَأَتَهُ سَتَشْتَرِكُ مَعَ الْقَوْمِ فِى الْعَذَابِ كَمَا شَارَكَتْهُمُ الْكُفْرَ وَالْعَدَاوَةَ لِلُوطٍ.

وَبَعْدَ أَنْ نُجِّىَ لُوطٌ وَأَهْلُهُ إِلَّا زَوْجَتَهُ - بِاللَّيْلِ - جَاءَ الصَّبَاحُ يَحْمِلُ الْعَذَابَ لِقَرْيَةِ لُوطٍ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ قُرًى تَبِعَتْهَا فِى الْكُفْرِ وَالْفَاحِشَةِ؛ فَقَدِ اقْتَلَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْقُرَى مِنَ الأَرْضِ بِطَرَفِ

جَناحِهِ، ثُمَّ رَفَعَهَا عالِيًا جِدًّا فى السَّماءِ، ثُمَّ قَلَبَها لِيَسْقُطَ النَّاسُ مِنْها أَوَّلًا، ثُمَّ تَسْقُطَ عَلَيْهِمُ الْقُرى بِما فِيها، وَأَمْطَرَتِ السَّماءُ حِجارَةً أَقْوى مِنْ كُلِّ أَحْجارِ الأَرْضِ، وَكانَ كُلُّ حَجَرٍ يَحْمِلُ اسْمَ الْكافِرِ الَّذِى سَيُعَذَّبُ بِهِ.

وَبِهَذا قُضِىَ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ حَتَّى صارُوا هُمْ وَقُراهُمْ آيَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ يَخافُ عَذابَ اللهِ الأَلِيمَ. وَيَقُولُ الْمُفَسِّرُونَ إِنَّ اللهَ جَعَلَ مَكانَ قُراهُمُ الْمُدَمَّرَةِ بُحَيْرَةً مُنْتِنَةً لا يَصْلُحُ ماؤُها لأَىِّ شَىْءٍ!! وَما الْعَجَبُ أَنْ يَتَحَوَّلَ مَكانُهُمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ بِهَذا الْوَصْفِ؟! أَلَيْسُوا هُمُ الَّذِينَ رَفَضُوا أَنْ يَتَطَهَّرُوا؟!

وَهَكَذا طُوِيَتْ صَفْحَةُ قَوْمِ لُوطٍ، وَلَكِنَّ صَفْحَةً شَبِيهَةً بِها فُتِحَتْ.



شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَدْيَنُ هُوَ اسْمُ مَدِينَةٍ وَهُوَ أَيْضًا اسْمُ الْقَبِيلَةِ الَّتِى سَكَنَتْهَا، وَقَدْ عَاشَ أَهْلُهَا بَعْدَ قَوْمِ لُوطٍ بِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، وَفِى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ آثَارِهِمْ، وَتَشَابَهُوا مَعَهُمْ فِى الْمَعَاصِى مِثْلَ: قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَإِخَافَةِ الْمَارَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَرْتَكِبُوا فَاحِشَةَ قَوْمِ لُوطٍ. وَاشْتَهَرَ أَهْلُ مَدْيَنَ بِبَخْسِ الْمِيزَانِ؛ أَىْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا بَاعُوا لِغَيْرِهِمْ تَلَاعَبُوا فِى الْمِيزَانِ لِيُعْطُوهُ أَقَلَّ مِنْ حَقِّهِ، وَإِذَا اشْتَرَوْا مِنْهُ تَلَاعَبُوا لِيَأْخُذُوا أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ.

وكَانَ أَعْظَمَ ذُنُوبِهِمْ عِبَادَتُهُمْ لِلأَيْكَةِ، وَهِىَ شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ حَوْلَهَا شَجَرٌ مُلْتَفٌّ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمُ النَّبِىَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مَعَاصِيهِمْ، فَاسْتَنْكَرُوا مِنْهُ ذَلِكَ، وَسَأَلُوهُ مُسْتَهْزِئِينَ:

- هَلْ تَأْمُرُكَ صَلَاتُكَ أَنْ تَدْعُونَا لِتَرْكِ دِينِ آبَائِنَا وَتَغْيِيرِ طَرِيقَتِنَا فِى التِّجَارَةِ؟ كَيْفَ يَصْدُرُ هَذَا الْكَلَامُ عَنْ رَجُلٍ عَاقِلٍ رَشِيدٍ؟

فَبَيَّنَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ لَا يَدْعُوهُمْ إِلَّا لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِمَّا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ. وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُسْلِمٍ لَا يَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ ثُمَّ يَفْعَلُهُ أَوْ

يَأْمُرُ بِخيرٍ ثُمَّ يترُكُهُ. كَمَا ذَكَّرَهُمْ شُعَيْبٌ بِالْعَذَابِ الَّذِى أَصَابَ الأَقْوَامَ السَّابِقَةَ، وَحَذَّرَهُمْ أَنْ يَدْفَعَهُمْ كُرْهُهُمْ لَهُ إِلَى الاسْتِمْرَارِ فِى الْكُفْرِ فَيَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِهَؤُلَاءِ الأَقْوَامِ.

وَلَكِنَّهُمْ بَعْدَ كُلِّ هَذَا الْوَعْظِ رَدُّوا بِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُ، وَهُمْ فِى الْحَقِيقَةِ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْهَمُوا أَوْ يَسْتَجِيبُوا، ثُمَّ قَالُوا لِشُعَيْبٍ:



- لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ عَائِلَةٍ كَبِيرَةٍ لَرَجَمْنَاكَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى الْمَوْتِ!

تَعَجَّبَ شُعَيْبٌ مِنْ قَوْمٍ يَخَافُونَ غَضَبَ عَائِلَةٍ كَبِيرَةٍ وَلَا يَخَافُونَ غَضَبَ اللهِ، وَقَالَ لَهُمْ:

- إِذَنِ اسْتَمِرُّوا عَلَى ضَلَالِكُمْ، وَأَنَا أَسْتَمِرُّ عَلَى هُدَاىَ، وَانْتَظِرُوا مَعِى النِّهَايَةَ لِنَرَى مَنْ مِنَّا الَّذِى سَيَحِلُّ بِهِ عَذَابٌ يُذِلُّهُ.

فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ:

- إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا قِطَعًا مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا الْعَذَابُ.

لَقَدْ طَلَبُوا الْعَذَابَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَأَعْطَاهُمُ اللهُ أَكْثَرَ مِمَّا طَلَبُوا.

سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْحَرَّ الشَّدِيدَ حَتَّى هَرَبُوا مِنْ مَدِينَتِهِمْ بَاحِثِينَ عَنْ نَسْمَةِ هَوَاءٍ، فَرَأَوْا خَارِجَ مَدِينَتِهِمْ سَحَابَةً شَعَرُوا تَحْتَهَا بِبَعْضِ النَّسِيمِ يُخَفِّفُ الْحَرَّ، فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ تَحْتَهَا يَسْتَظِلُّونَ بِهَا، وَحِينَئِذٍ أَمْطَرَتِ السَّحَابَةُ شُهُبًا وَنَارًا أَخَذَتْ تَشْوِى أَجْسَامَهُمْ!! ثُمَّ جَاءَتْهُمْ مِنَ السَّمَاءِ صَيْحَةٌ هَائِلَةٌ نَزَعَتْ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَبْدَانِهِمْ، كَالصَّيْحَةِ الَّتِى عُذِّبَ بِهَا قَوْمُ ثَمُودَ، كُلُّ هَذَا يَحْدُثُ وَالْأَرْضُ تَتَزَلْزَلُ وَتَرْتَجِفُ بِهِمْ؛ لِكَىْ يَكْتَمِلَ رُعْبُهُمْ وَتَتَأَلَّمَ كُلُّ خَلِيَّةٍ فِى أَجْسَادِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ هَذِهِ الْعَذَابَاتِ الْمُتَعَدِّدَةَ الَّتِى حَلَّتْ بِهِمْ:

يَوْمُ الظُّلَّةِ: إِشَارَةٌ إِلَى سَحَابَةِ النَّارِ، وَالرَّجْفَةُ وَالصَّيْحَةُ اللَّتَانِ

تعرَّفْنا علَى مَعْنى كُلٍّ مِنْهُمَا فى قِصَّةِ صالِحٍ علَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَخذَ شُعَيْبٌ بَعْدَ أَنْ نَجَّاهُ اللهُ مِنَ الْعَذَابِ هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ - أَخذَ يُفكِّرُ فى قَوْمِهِ الْمُهْلَكِينَ وَيَقُولُ:

- لَقَدْ أَدَّيْتُ وَاجِبِى نَحْوَكُمْ وَأَبلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى، فَكَيْفَ أَحْزَنُ علَيْكُمْ وَقَدِ اخْتَرْتُمُ الْعَذَابَ بِاخْتِيارِكُمُ الْكُفْرَ؟




القرآن الكريم



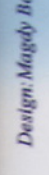


الأَنْبياءُ هُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلاقِ، وهُمْ قُدْوَةُ النَّاسِ جَمِيعًا فى كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ. وقِصَصُهُمْ مَليئَةٌ بِالْعِبَرِ والْعِظَاتِ، وحَياتُهُمْ حافِلَةٌ بِالدُّرُوسِ النَّافِعَةِ الَّتى إِنْ أَدْرَكَها النَّاسُ سَعِدُوا فى الدُّنْيا والآخِرَةِ.

وهَذَا الكِتابُ عَرْضٌ مُمْتِعٌ لِحَياةِ هَؤُلاءِ الصَّفْوَةِ، وجِهادِ أُولَئِكَ القُدْوَةِ لإِخْراجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ، بِأُسْلُوبٍ سَهْلٍ مُيَسَّرٍ، وإِخْراجٍ رائِعٍ مُتَمَيِّزٍ، مَعَ تَرْكِيزٍ عَلَى اسْتِخْلاصِ الْعِبْرَةِ بِأُسْلُوبٍ شَيِّقٍ.

- خَلْقُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ
- عَدُوُّ آدَمَ
- مُؤامَرَةُ إِبْلِيسَ
- ابْنا آدَمَ (قابِيلُ وَهابِيلُ)
- أَوَّلُ جَرِيمَةِ قَتْلٍ
- إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلامُ
- وَظَهَرَ الشِّرْكُ عَلَى الأَرْضِ!
- نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ
- تَطْهِيرُ الأَرْضِ
- هُودٌ عَلَيْهِ السَّلامُ
- عاقِبَةُ التَّحَدِّى
- صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ
- النَّاقَةُ الْمُعْجِزَةُ
- إِبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ
- نَعِيمٌ فى النَّارِ
- التَّوْحِيدُ وَقُدْرَةُ اللهِ الْخالِقِ
- إِسْماعِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ
- لأَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ
- لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ
- شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلامُ





الناشرون المتحدون